الابادة والاتلاف من بواعث الامة

الشعب العربي بحاجة الى تراكز وتحول هادم يؤدي الى ولادة جديدة

☆☆☆

تقرر الملاحظة للتحولات الطبيعية في الاجسام ان الفريسلوجية فيها تعرب عن امكان استمرار الفناء، اغداقاً لمعنى البقاء، فأن هدم الكائن كائناً آخراً، يعني انه يفرض عليه الاستحالة الى شكل جديد يتحور ويتبدل فيه ضمن نطاق النظام الطبيعي القائم على — ان الحياة تأكل الحياة — ولولا هذا النسق المفروض الذي تطبقه قوة الاستمرار، لحدّ الفاعل الوجودي من طبيعة ذاته ووقف دولاب الكون.

فالامة — في هذا الرأي — كالفرد تحتاج الى الابادة والاتلاف البلوتوقراطي لاقرار « بعث جديد » بطريق ولادة صحيحة، لا بطريق تناسل ردي، تمشت عليه بعض الامم ومنها الامة العربية، وقد أشار العلامة الاميركي ردبيرد « Redbeard » اليه بقوله « ان الالتواء الطبيعي والتشوه العقلي هو نتيجة مباشرة لتناسل ردي، خلال ألفي سنة »..

وليس يؤخذ على الامة العربية التواؤها الطبيعي وتشوهها العقلي فحسب، بل يوخذ عليها تدني تربيتها الوطنية المتممة لمعنويتها، وعدم استقامة خُلقها، واتزان حياتها الاجتماعية التي هي مظهر من مظاهر النطق والتعبير عن حيويتها في معرض الوجود العالمي، ولذلك كان القضاء على هذا « النوع العربي القديم » ضرورة من ضرورات الحركة التقدمية التي تبني كل جديد على انقاض كل قديم.

ومن الملاحظ في اساليب البعث بعد « الضربة الماحقة » على النوعية الرجعية في كل شعب، ان القيمة الاجتماعية تسمو في نفس الموجود بمقدار ما تكون الابادة قوية والصدمة عنيفة، والا فما ينفعنا انتظار الاصلاح والبناء اذا كان جسم الشعب تتآكل به أجرام الفوارق والتأخر دفعاً وسلباً.

واصدق ما يشار به الى سرعة مبدأ التحول في معنى الامة ما عناه الرئيس الاميركي تيدور روزفلت بقوله « اذا كانت الامة لا تستطيع حماية نفسها تحت شكل الحكومية الديموقراطية فعليها اما ان تبسط شكلاً حكومياً جديداً او ان تموت »..

ونحن نعلم انه ليس باستطاعة « المجموعة العربية » ان تخلق شكلاً من الحكومة جديداً لحلول الاعتقاد بالقضاء والقدر في نفسها، بل يمكننا ان تجعل شكل الحكم فيها يموت موتاً ابدياً لتمهد الطريق لولادة نشء حديث حر، يعرف كيف يناضل ويقاتل في سبيل بقائه وحيويته جرياً مع الحكم البيولوجي — « افضل المقاتلين هم افضل جنس منتج »...

ونحن انما نقول بابادة « معرقلات » الامة لاننا نرى في استجماع القوة بكيان جديد واع، باعثاً مميزاً يحملنا على الاعتراف بأنه يستحيل علينا « الترميم القومي » اذا كان « الاساس » يقوم على اساس واهن، ومن الافضل ان ننزل « ضربة القضاء » — في ايمان القضاء، لكي نجعل « لوصفتنا الكيماوية » حدثاً تدميرياً رائعاً تكون دونه احداث الموت.

ان مستقبلنا بيدنا، واتلاف الاصل القديم في شكل الامة « Degeneration » في بعث جديد نكيّفه على التضحية، هو اولى لنا من ان ينزل فينا ذلك القضاء جميع احكامه المبرمة!

مبشغن - الولايات المتحدة — عبدالله بري

الخطبة لدى تمثال الحرية

القائم على جزيرة بدلو الواقعة في وسط ميناء مدينة نيويورك

بقلم راجي ظاهر

•

السلام

ايتها الالاهة الخالدة المخلدة !

السلام يا ام الاحرار؟ لقد جئتك ، ايتها الالاهة المجيدة ، الى هذا المزار لاحج اليك حجة الوداع . كما جئتك منذ خمسة عشر عاماً لاحج اليك حجة اللقاء. وذلك حين ساقت التقادير ركابي الى هذا الحمى من بلاد الشرق القصية . وما اعظم الفرق بين الحجتين ، يا مولاتي، فلقد اتيتك متلمساً وانا غر القلب غض الشباب وها انا ذا آتيك مودعاً كهلاً في الروح والاهاب .

ولما وطئت قدماي لاول مرة ارض مزارك على هذه الجزيرة كنت مؤمناً بان هذه الارض الكريمة التي احتضنت تمثالك هي وحدها موطنك . وها انا اقف امامك مؤمناً بان بلاد الله الواسعة كلها ، كلها منزلك ، وان نورك قبس من نور ابيك الذي في كل مكان يشع على الناس جميعاً في كل مكان. فاذا رأيتني، ايتها الالاهة الفاتنة الطهور، حاجاً اليك في هذا الحرم الشريف فما ذلك لاعتقادي بانه مقرك دون سواه، بل لان الانسان الحر قد نصب لك عليه تمثالا عظيما احاطه بالمحبة والفتنة والاجلال وجعله رمزاً لمجدك وخلودك .

أتذكرين ؟

أتذكرين ، ايتها الالاهة، حجتي الاولى اليك منذ خمسة عشر عاماً ؟ اتذكرين كيف رحت أطوف حول تمثالك كما يطوف الحجيج حول هياكلهم المقدسة، وكيف مددت يدا مرتعشة ولمست، بكل احترام ، حجراً من قاعدة تمثالك العظيم وصافحتك ناقلاً اليك سلام ابنائك البررة في مشرقنا ؟ اتذكرين كيف ركعت بخشوع امامك وقبلت الارض بين يديك ثم اخذت اتلو صلاتي لك ، وكيف تدافع الزوار نحوي لينجدوني ظانين بي علة ؟ والزوار يملأون مزارك على الدوام : يعجون فيه ويصخبون ويدنسون جدران هيكلك بكتابة اسمائهم الزائلة عليها ولو عقلوا لتكلموا همساً في هيكلك الذي لا يعدله عند الاحرار في القداسة هيكل .

اي، الاهتي، يا امي وابي، اتذكرين ما قلته لك في صلاتي تلك. اسمعي لي ان اعيده على مسمعك لاجدد معك عهداً وودأ . قلت لك : « انني جئتك لانذر لك دمي ولساني وقلمي. وانني ما اتيت ارض تمثالك طمعاً في نضارها ولا افتتاناً بفتنتها المادية بل لاملأ رئتي بهوائها الحر ولامتع عيني بنور وجهك الكريم الصبيح بعدما حرمني الاستمتاع بهما اهل الظلم والطغيان في ارض آبائي واجدادي . » .

وها قد مضى على حجتي الاولى اليك خمسة عشر عاماً ولّيتك فيها قلبي تولية مطلقة. فما فتنتني لذة العيش فانقدت اليها هنيهة ثم ما سمعت اجراسك تدق تدعو المؤمنين الى الدفاع عن حرماتك المنتهكة حتى تركت ما انا فيه غير آسف ولا متأفف وهرولت للدفاع عنها كالثور في ميدان الصراع حين يلوّح له المصارع بالراية الحمراء !

في مدينة الظفر والناب

خمسة عشر عاماً مرت على وقفتي الاولى لديك في هذا المكان، خمسة عشر عاما قضيت معظمها على مقربة منك اصارع فريسي هيكلك في مدينة الظفر والناب. وانها لمدينة مصاب اهلوها بداء ليس افتك منه داء — هو داء الدولار القاتل الذي يزهد المصاب به في كل قيمة روحية ويرغبه في كل قيمة مادية ويزين له المادة في شتى صورها آلة طائرة ام سائرة ام دائرة ويجعله يحسب المدنية الحقيقية في بناء البنايات المشمخرة القائمة طبقاً فوق آخر كالصناديق المكدسة، وفي صنع القطر السريعة والقنابل الذرية الماحقة. ولقد سبى شيطان الدولار الناس ، يا مولاتي ، فمالوا عنك وغدوا عبيداً للعقل المفتون بالآلة الذي يحسبك واخواتك العدل والرحمة والضمير اوهاماً واحلاما .

ولكم وسوس شيطان المادة في اذني عقلي وكاد يفتنه بسحره ولكم زين له الدنيا اذا مال عنك اليه. ولكم زهده فيك وقال :

---

* اخي الاستاذ البير: لا تحسب بعد قراءتك هذا المقال انني في طريقي اليكم. ان دون ذلك مصاعب شتى. ولكن اذا يسر الله الامور فقد اراكم بعد عامين . (راجي)

ان الانسان يولد عبداً ويموت عبداً . وانه عبد بدنه ، عبد بيئته ، عبد مناخه، عبد من بيده رزقه،عبد تقاليده الموروثة والمستحدثة، وعبد لالف نوع من العبوديات الظاهرة والباطنة .وان الذي يحرره من هذه العبوديات كلها هو الدولار وحده. وانك انت ، ايتها الالاهة الخالدة ، لست الا من نتاج محموم المنى والخيال !.

ولكم خاطب العقل قائلاً: اين لدان يرى وجهك ايتها الالاهة في هذا العالم الفسيح الارجاء الا في هذا التمثال؟ افي العالم الرسمالي الديمقراطي الذي يساوي الناس في حرية الموت جوعاً ؟ام في العالم الشيوعي الذي يساويهم في الشقاء والعبودية العمياء للدولة المؤلهة؟ ام في العالم الاقطاعي الذي يساويهم في الجوع والشقاء والعبودية ويحرمهم ما وجدا الا لتأمين هناء السادة الاقطاعيين وتجار الوطنية والدين ؟

وكثيراً يا مولاتي ما كان عقلي يؤخذ بسحر منطق اله المادة المعبود فيكاد ينفر منك ويبعث برجلي مع ملايين الارجل الدابة نهاراً وليلاً بلا انقطاع لاكتناز الدولار الفاتن. غير ان قلبي، والقلب كما ذكرت بقي موالياً لك اتم ولاء ، كان لا يلبث ان يلجم عقلي ويعيده الى محجة الصواب. لقد بقي القلب وفياً لتعاليم انبياء آبائي واجدادي القائلة ان المدنية الحقيقية هي في انصاف الفقير والمظلوم وفي الرفق بالضعيف انها في الايمان بان الغلبة في هذا الوجود للقيم الروحية وللمؤمنين بالعدل والحرية والاخاء الانساني. انني ، ايتها الالاهة ادين بسلطان القلب . قد يحول العقل العلمي الآلي رمال الصحارى الى مال ، كما يقول عبيد الآلة والدولية، اما القلب فهو الذي يخلق في صحارى الوجود الواحات التي لولاها لما كان في دنيانا حياة ولا جمال.

سامح الله الماديين يامولاتي . سامحهم الله . وغفر لهم غرورهم وبطرهم وجهلهم. انهم يحتاجون الى الرحمة والشفقة اكثر من سواهم انهم اسرى العبوديات انهم عبيد العقل العلمي الآلي السائر بهم حتماً الى نظام مملكة النمل .

انت ايتها الحرية

انك موجودة ايتها الالاهة النقية لان قلبي يقر بوجودك، لانك نسمة مباركة من الروح الكبرى تمسين برعم الزهرة فيتفتح لانوار الصباح. ومنقار العصفور فيغرد طروباً .وقلم الاديب وريشة الفنان وازميل النحات فتأتي بالسحر آيات ومعجزات .

انت انت وحدك تسبغين على الحياة الدنيا اجمل معانيها وتحببين لبني البشر الاحياء ما فيها فان كنت وهماً فآه ما اجمل وهمك وابهى سناه ! انت ، انت وحدك الاصل وسواك الفروع!

يقول صاحب سفر « النبي »وهو كما تعلمين من ابناء بلادي، يقول بلسان نبيه انه يود ان يستبدل تمثالك هذا بتمثال للمحبة. اي الاهتي سامحي هذا النبي الجديد ، سامحيه. لقد ضل ضلالا بيناً. لقد التبست عليه القيم .فلم يدرك ان المحبة زهرة وأنت شذاها وانك انت روح المحبة فاذا تجردت المحبة منك غدت جسما بلا روح !

ولقد سمعت بشعب كريم نصب على مرفأ عاصمته تمثالا لنبي عظيم ولكن يا مولاتي اي معنى للدين الا بك . ايصح الايمان بالقيم الروحية غير طواعية. ايصح الايمان خوفاً من بطش ذوي السلطان؟ كلا انت ، انت وحدك روح الدين . ولذلك فانت احرى بالتأليه من سواك ، لانك ، اذا مت مات الدين !

انتِ انت وحدك تعطين الشرف والفضيلة والرحمة والوطنية وسواها من القيم الروحية معانيها .أفليس لذا لم تهيمن روح كريمة مباركة في عالمنا الا عشقتك وقضت ايامها على ارضنا مفتشة عن اكاليل المجد لتطرحها على قدميك ؟ أفليس لذا مات خيرة اصحاب الارواح الكبيرة الثائرة على العبودية والظلم ، كلنكن وغاندي وفولتير وواشنطن وسعد زغلول ومتشيني وجمال الدين الافغاني وصنيالتسنغ واديب اسحق وفرح انطون وكثير غيرهم ، وهم يباركون اسمك المجيد لانك باركت حياتهم واسبغت عليها الجمال والحكمة والسحر الحلال .

وغداً ، غداً عندما « يحرر » العقل العلمي الآلي المغرور الانسان من«الاوهام المخدرة » كما يسمي الدين والحرية والفردية والفن الحر ويجعل للدولة سلطانا على الفرد غير منازع ويتخذ الآلة صنمه المعبود غداً حين يكبل العقل الانسان بالعبوديات المادية المرهقة ويوشك ان يمحقه من الوجود بقنابله الذرية وبمخترعاته الجهنمية، يود الانسان لو بقي مستنيراً بنورك آخذاً بمبادىء رسالات بوذا ويسوع ومحمد!

العالم العربي المظلم

اصغي الي يا رافعة المشعل لاكشف لك عما في قلبي. انني ايتها الالاهة من ابناء العالم العربي . وهو عالم منكود الحظ يخيم عليه الجهل والفقر والامراض منذ قرون متطاولة طائفة من شر خلق الله على ارضنا. عالم مصيبته الاساسية هي في فقدان قادته الروحيين ايمانهم بالرسالات الروحية التي يبشرون بها وبمحالفتهم الطغاة على شعوبهم لامتصاص دمائها واستذلالها. ان قادتنا الروحيين هم كلاب صيد اعدائك في عالمنا ! انهم يسخرون المبادىء السماوية النبيلة لمآرب لاهي سماوية ولاهي نبيلة ويعلمون المستضعفين ان التعصب والسخافات من مستلزمات الايمان بالله ! ارأيت يا مولاتي ما يفعله هؤلاء المجرمون، قتلة الايمان واعداء الله. لقد جاء اصحاب الرسالات السماوية الحرة

لتحرير الانسان من ربقة ملوك النخاسة وكهنة الاصنام وتجار النفاق فنبذ الذين يتزعمون هذه الرسالات في عالمنا مبادئها السامية واستخدموا قشورها اغلالا لاستعباد الناس .

اي ، نصيرة المظلومين ! يقول محمد « كلنا عباد الله » ويقول يسوع « كلنا ابناء الله » وهذان قولان مهما اختلفا لفظاً فمعناهما واحد وهو اننا كلنا متساوون في عدل الله ورحمته وفي حقنا في الاستمتاع بخيرات ارضنا ، فما بال الطغاة من اهل الاستعمار والاقطاع يحسبون الشعب خلق لتأمين هنائهم الخاص ؟

اي الاهتي الحرة المحررة ، اما آن للرقاب في عالمنا العربي ان تنعتق من عبودية الاقطاعيين والزعماء العشائريين والطبقات الجشعة المستثمرة ؟ أقضي على عالمنا ان يبقى مظلماً والا يستنير بنورك ابداً ؟ افكلما حاول احد ابنائك فيه ان يشعل مشعلاً صغيراً او يسير في طريقك لتحرير السواد الاعظم المستعبد تألب عليه الرجعيون واهل الظلام فاطفأوا نور مشعله واهلكوه ؟

اي أيتها الالاهة الحرة المحررة ، حالفينا على عداتنا وعداتك ساعدينا نحن ابناءك الاحرار لادراك النصر فاننا ان نهلك في هذا الزمان لن تجدي من يعبدك في عالمنا بعد اليوم ابداً !

احرار العالم العربي

اي رافعة المشعل المنير، دعيني احدثك عن احرار بلادي فاني بامرهم لخبير . انهم فئة فقدت وازعها الروحي فصارت تميل مع كل ريح . ولقد فتن الغرب بعض هؤلاء الاحرار فراح يمسخ نظمه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مسخاً . هذا يداعب الشيوعية وذاك الديمقراطية وذلك الاشتراكية الديمقراطية ناسين ان هذه النظم لا تستورد من الخارج كالمتاع . وانه لا بد لها لتحيا في بلد ما من ان تستمد قوتها من صميم الشعب ومن تاريخه وتراثه . وهذا البعض من احرارنا يريدنا ان نطلق تراث الجدود وان نعيش على ارضنا كاللقطاء .

اما البعض الآخر من احرارنا فيريدنا ان نرجع بالزمان القهقرى لالف سنة لنطبق على عالمنا الحاضر المبادىء التي بنى عليها الجدود امجادهم . وينسى هذا البعض يا مولاتي ان لكل زمان نظاماً خاصاً وطابعاً خاصاً . اي الاهتي ، ان هؤلاء كشجرة ذات جذور ولكنها بلا اوراق ولا اغصان ، واولئك كشجرة باغصان واوراق ولكن بلا جذور !

علمي ايتها الالاهة احرار بلادي ان الماضي والحاضر والمستقبل حقب متعانقة في حياة الامم . وانها حلقات آخذ بعضها برقاب بعض في اتصالها الوثيق : قوة وحياة . وفي تفككها : ضعف وفناء . علميهم ، ايتها الالاهة ، ان العلاج لعللنا كلها هو في القومية العربية التقدمية الحرة التي تصل ماضينا بحاضرنا وبمستقبلنا . ان هذه القومية التقدمية الحرة هي وحدها تجمع بين حسنات ماضينا وحاضرنا وحسنات الشعوب الاخرى الراقية وتمكننا من ايجاد النظام القومي الحر الصحيح الذي يكفل لنا تحقيق آمالنا واماننا واهدافنا المتجسمة في مبادىء العدالة الاجتماعية العربية .

علمينا نحن ابناءك في العالم العربي ان نؤمن بالشعب وان نستمد قوتنا من قوته وان نعلمه ان مصيره في يديه . اجعلي اكتافنا اكتاف رجال اقوياء جديرين بحمل اعباء جهادك المقدس . واجعلي قلوبنا قلوب الشهداء الذين يطلبون الحياة في انتصارك وقتل الطغاة !

دم عربي شريف

ايتها الالاهة الساحرة ! ها انا ذا اقف لديك قبيل رحيلي عن ارض تمثالك لالتحق بابنائك في العالم العربي . ها انا ذا اقف لديك لانذر لك دمي مجدداً . فيا ايتها الالاهة المجيدة ، الخالدة المخلدة ، لا ترفضيه . انه دم عربي شريف . دم ابناء الصحارى والفلوات لا دم الاقطاعيين وعبدان السلطان . انه دم الاحرار . دم اولئك الذين عششت اجدادهم كالصقور في جبال لبنان لا دم ملوك المال وتجار الضلال وعبيد القيان الذين لطخ الاستعمار والاستغلال ايديهم بدماء الاحرار والمستضعفين والعمال والفلاحين .

اي ايتها الالاهة الفاتنة !

لئن غاب وجهك هذا عني غداً في اثناء جهادي التحريري في ارض الآباء والاجداد وحال بينك وبيني اهل الطغيان والاستبداد فسأراه حين نغسل ايدينا ، نحن الاحرار ، بدماء اعدائنا واعدائك الطغاة !

فسأراه يبسم لي حين نحطم قيود الفلاحين ونعيد اليهم الكرامة الانسانية التي سلبهم اياها ساداتهم العتاة !

وسأراه في بسمة الاولاد المحررين من الجوع والجهل والاوباء المؤمنين بالحياة الحرة التي فتحنا ، نحن ابناءك ، لهم ابوابها .

وسأراه كلما سمعت اصوات ابنائك في العالم العربي يهتفون لك بالحياة ويصنعون لك من آلامهم وتضحياتهم تماثيل من نور لا يزول ويرفعون فوق كل معقل من معاقل الرجعية والاقطاع والزندقة راياتك الظافرة !

سأري وجهك الحبيب في كل ذلك ، ايتها الالاهة الطهور ! فوداعاً الآن ، والى اللقاء في ساحات الجهاد ، في مشرقنا !

فصل من كتاب « المشاعل » تحت الطبع

نيويورك — راجي ظاهر

هدية العمر

الى الاستاذ محمود تيمور

●

كان الشيء الذي يروعها ، ويضطرب له قلبها اضطراباً هو — ليلة الزفاف — وكيف تمر بسلام ، فللزفاف في قريتنا تقاليد مرعبة ، فمثلاً لا بد من ان يبيت الجمل — ليلة الجلوة — حاملاً — التختروان — امام بيت العروس ، حتى اذا ما حانت صلاة العشاء — ليلة الدخلة — وتجمع الاهــل والاصدقاء والاحباب امام البيت ، خرجت العروس محمولة عــلى اكتاف اثنتين من بنات العم او بنات الخال ، او من تختار هي ان لم يكن لها عم ولا خال . وتوضع ملفوفة في — الشال — الحرير الاحمر في قلب — التختروان — الكبير مع اربع بنات من بنات الاهــل ، وواحدة اخرى يتحتم ان تكون آخر من تزوجت في القرية . وهذه عليها مهمة خطيرة جداً ، وهي ان تقص على العروس في صدق واسهاب ، احداث الليلة الكبرى . وما ان يفك عقال الجمل وينهض واقفاً حتى تشق عنان السماء خمس طلقات نارية ، تنبعث مزغردة في الجو معلنة بدء الزفة فتتعالى الزغاريد . ويتساقط الملح كالسيل ليغمض عين العاذل والحسود . ويسير الجمل بالتختروان يتهاوى كالطاووس وسط الجموع المحتشدة وامامه — المزيكة — تعزف لحناً شجياً ، حتى اذا ما طاف الموكب باهم شوارع القرية وازقتها وبلغ بيت — العريس — واناخ الجمل اطلق عشر طلقات نارية في الجو فتقابلها في الحال احدى عشرة طلقة اخرى تنبعث من بيت العم او الخال او الصديق الذي — يستحم — العريس في بيته . وعلى الاثر تبدأ زفة العريس الذي يخرج الى الطريق يتيه — باللاسة — الحرير التي يعصب بها رأسه وتتدلى اطرافها على الحاجبين المزججين والعيون السود التي طمسها هباب الشمعة التي يتحتم ان يكون احتراقها لحظة غسل العريس في الحمام .

والكوفية البيضاء الملتفة حول العنق بحيث تتدلى على الصدر والكتفين ، ويخب في جلباب من الصوف ترحف اذياله عــلى الارض بحيث يختفي تحتها الحذاء الاصفر الفاقع ذو « الابازيم » الستة المصفوفة ، ومن المحتم ان يكون لون الحذاء كذلك . ومــن المحتم ايضاً ان يكون عدد الابازيم ستة ، وذلك لحكمة تعرف عندما يبلى الحذاء . فتنزع الزوجة هذه الابازيم من الحذاء وتعلقها في ضفيرتها مع بعض القمائم والتعاويذ التي تظل على ظهرها طيلة الحيــاة : وذلك تبركا وتقديساً لذكرى ليلة العمر .

ويسير العريس وسط ستة من اقرب الاصدقاء ، يحمــلون الشموع وطاسات البخور ، التي تنبعث منها رائحة الفاسوخ والجاوى وعين العفريت . وامامهم فتيان القرية يقرءون العصي على ضوء المشاعل ويطلقون البنادق الى ان يبلغ الموكب الدار فينطلــق العريس الى داخل الغرفة التي تكون فيها العروس مع من تختارها هي ان لم تكن امها على قيد الحياة ، ومن ثم يغلق الباب اغلاقاً محكماً في حين يقف الحشد خارج الغرفة ومعهم الستة الذين كانوا يحملون الشموع صفاً امام الباب يرقصون ويرددون على توقيع الاكف انشودة معروفة ، ويظلون ينشدونها مهما طال بهم الزمن ، الى ان يفتح الباب فجأة وتخرج منه ام العروس او من تقوم مقامها مزغردة ناشرة على رؤوس الاشهاد منديلاً كالعلم ذي اللونين الاحمر والابيض وما ان يرى في يدها حتى تتعالى الزغاريد ، وتنطلق احدى وعشرون طلقة ، تخرج مدوية معلنة في سماء القرية سلامة الشرف الرفيع من الاذى .

قصة

وكانت هي ترى ذلك كله فتخاف اعنف الخوف ، وتستمع الى ذلك كله فتنتفض فرقاً ورعباً وتصغي الى ما تسره

اليها صاحبتها في الهودج فينهلع قلبها حتى ليكاد يسقط فزعاً بين جنبيها يتاوى كالطائر الجريح .

انها لم تكن لترضىعن هذا كله ، ولم تكن لتطمع او تفكر في شيء لانها تعلم بان هذا سيجر عليها الكثير من المتاعب، وسيجرها الى كثير من الاذى الذي لا تحتمله فتاة يتيمة مثلها ، لا احد لها في القرية ولا صديقة. مات ابوها قبل ان تعرف ما هي الابوة، فنزحت بها امها في طلب الماء الذي انقطع ، والرغيف الذي امتنع والرزق الذي ضاق وظلتا تتنقلان من صعيد الى صعيد ، ومن قرية الى قرية ، حتى حطت بهما الرحال في – عزب الافندي – وهناك عاشتا كانما فرضت عليهما الحياة فرضاً ، وارغمتا على الدنيا ارغاماً . وكما يقدر لبعض الزهور ان تنبت في الصحراء ، وتزدهر وتينع على لفحات الرمال ووهج القيلولة، كذلك اينعت « سلمى » وازدهرت وغدت باقة يتضوع عطرها في عزب الافندي وتهفو اليها القلوب. غير ان هذه الزهرة لم تلبث ان ذبلت فجأة ، فقد امتدت اليها في الخفاء يد آثمة انتهزت فرصة – موت البستاني – الذي كان يرعاها واقتطفتها عنوة واقتداراً .

وكذلك الفت سلمى نفسها فجأة ساقطة في هذه الدنيا . تبكي امها التي ماتت ، وتندب امومتها التي تتجمع اثما وعاراً في احشائها . والناس لا يضيقون بالآثام الا اذا عرفت ولا يتبرمون بالرذائل الا اذا انكشفت ، اما اذا ظلت في الخفاء وبقيت في طي الكتمان ، فهم امناء عليها سعداء بها سعادتهم بالتحدث عن الفضيلة جهراً وعلانية . ولامر ما يقدر – المرأة – احياناً ان تتعهد غير غرسها وتجني آثام غيرها .

وشعرت سلمى بثقل هذه الآثام التي تنشر اجنحتها عليها وتتبعها في النوم وفي اليقظة . وتطاردها في الليل وفي النهار، فاختفت عن الانظار ، وذهبت الى كهفها المظلم واغلقته عليها بعيدة عن كل عين، نائية عن كل لسان . ومرت الايام سريعة على غير انتظار وما اسرع ما تمر الايام على الذين لا يريدون لها اسراعا . وجاءها المخاض في ليلة كريهة موحشة ككهفها المظلم الذي تعيش فيه ، وخشيت ان تفجأها الخطيئة فتصرخ او يعصف بها الاثم فتستغيث ، فتسللت في الليل تحمل خزيها ، وذهبت الى حقل الاذرة المجاور للقرية ، وهناك وضعت على ارض هذه الدنيا جنينا ينكره ابوه ، وتستنكره امه ، وتلفظه الدنيا ولا يعترف به الدين . وهمت بان تتركه وترتد خزيانة كما اقبلت به في عتمة الليل خزيانة . . ولكن . . ولكن هذه القطعة من اللحم التي اقتطعتها من كبدها اقتطاعاً والقت بها في حقل الاذرة وسط هذا الليل الموحش ، اتتركها هكذا في الظلام نهباً لذئاب الحقل ؟؟ وارتدت اليها هلعة جزعة مفجوعة ، وضمتها الى صدرها في حنان وعطف لم يستشعرهما جسدها المقرور من قبل ، ومن ثم تسللت بها خائفة كمن يتسلل في الليل بشيء ثمين ، وما ان بلغت المصلى القائمة على جسر القناة الموصل للقرية حتى وضعتها في رفق ، ومن ثم جلست قبالتها في الحقل ترى وتتأمل وتنظر ماذا افاد القدر من جنين انكرته الحياة قبل ان يجيء اليها .

واقبل مع الفجر شيخ عجوز يتوكأ على عصاه . وعند المصلى نزع حذاءه وتوضأ وما ان اتجه الى القبلة حتى رأى شيئاً ملقى فالتفت اليه ، ومد الشيخ ذراعه الواهية وهو يبسمل ، وتناول الخرقة المهلهلة ورفعها الى صدره ليرى ما فيها ، وما ان كشف عنها حتى لمعت عيناه وارتد الى الوراء يحوقل ويستعيذ بالله وهو يتمتم بشفتيه المتعبتين . – طفل . . طفل .

وصمت الشيخ حيناً ، ونظر الى السماء مرة ، والى الارض اخرى ، ومرة الى الليل الاصم وأخرى الى الوليد الذي يشع النور من وجهه ولم تتفتح عيناه بعد . ولما لم ير الشيخ ولم يسمع عاد فارسل طرفه الكليل الى السماء مرة اخرى ثم اتم صلاته وانصرف به الى القرية . ولم يكن يدري وهو يسير حاملاً اياه على ذراعيه الواهيتين وصدره المضطرب ان من خلفه عيناً تودعه باحر العبرات وتشيعه بخالص الدعوات .

ومرت ايام وايام ولما اطمأنت سلمى الى ان احداً في القرية لا يعرف انها باعثة هذا الاثم وخالقة هذا العار الذي احتضنه الشيخ وابى الا ان يكون عليه حفيا وبه ضنينا ، استردت بعض انفاسها ومن ثم راحت في هدوء ترسل الطرف خلسة الى دار الشيخ لترى دنياها المحرمة وحياتها البعيدة .

ولكن للاثم رائحة نفاذه تدل عليه وتهدي اليه، وللخطيئة في القرى انفاساً واحاديث تمتد الى بعض الآذان وتصل الى بعض القلوب ، فقد بدأ اهل القرية ولا سيما العجائز الذين هدت الايام قواهم واقعدتهم مع النسوة في الدور للتلصص واستراق السمع ، يتحدثون عن الطفل الذي عثر عليه الشيخ منصور في العراء وهو يصلي الفجر ، وبدأت سلمى تحس او خيل اليها انها تحس ان العيون تمتد اليها خفية كلما سارت في الطريق ، كما بدأت تعرف ان هذه العيون لها نظرات اشد حرقة من الجمر ، وظلت تعالج هذا حيناً وتتجنبه احياناً، بيد ان اذى هذه العيون كان اكثر من ان تحتمله، ولفحاتها كانت اشد من ان تصمد لها ، لذلك غادرت القرية

وهي اشد ما تكون لوعة على هذا الذي تركته فيها .

ومضت «سبع سنوات» لم تعرف سلمى كيف مضت ولا كيف احتملت مرارتها، فهي لم تمكث في قرية من القرى اكثر من شهور، ولم تمكث في عزبة من العزب اكثر من اسابيع، تغادرها بعدها في طلب الرغيف الذي كان يمتنع احياناً ويكون اعز منالا من امانيها التي ترملت، ولكنها تذكر بانها نزحت الى هذه القرية القريبة من عزب الافندي مع من نزح اليها ايام الحصاد وانها تعرفت فيها على اسرة كريمة نزلت عليها فاكرمتها واعزتها وجعلتها من افرادها، وكان لهذا الجميل اثره في نفس الفتاة فاستعادت شبابها، وعادت اليها فتنتها ورجع اليها جمالها الفاتن، ورجع جباراً قوياً يتفجر انوثة ويلتهب حرارة، ويفيض على الناس نوراً وانساً وابتهاجاً، وكان ان شغل هذا الجمال الباهر اكثر من في القرية، فتقدم اليها غير واحد من شبانها يطلب يدها ويطمع في ان يكون الجمال من نصيبه، وهي لا تكره الا هذه الايدي التي تمتد، وهذا الزواج الذي يلحون عليها به ويريدونه لها. فالموت اهون عليها من الذي يطلبون، انها قنعت من دنياها بهذا الذي لاقته، ورضيت من حياتها بهذا السواد الذي تعيش فيه، ان تعزيتها ان السماء وحدها هي التي تعرف سرها، وهي وحدها التي تعطف على فجيعتها، فكيف تكشف السر للناس وتطلب من الناس العطف عليها.

وفكر شاب في القرية في هذه التي ترفض كل يد وتحتقر كل رجل، وكان فتى ملحوظاً لثرائه وقوته ومحتده الكريم، ومع انه لم يكن يفكر في النساء. فقد فكر في هذه الفتاة، ومع انه لم يكن يفكر في الزواج فقد فكر فيه، وفكر فيه طويلا، وفكر في روية وهدوء واتزان، كلفه الكثير من الارهاق، وكلفه الكثير من البحث، ولما عقد العزم تقدم اليها فرفضته ايضاً ولكنه اصر، واصر في حزم وعزم وقوة ليس الى ردها من سبيل، وكان لهذا الاصرار الذي بذل فيه الفتى اكثر من طاقته، والحاح الاسرة الكريمة التي احتضنتها اثرهما . فقبلت الفتاة مرغمة، وهي لا تدري اقبلت لانها احبت هذا الفتى، ام لانها في حاجة الى رجل، ام انها قبلته لانها خافت من الموت الذي هددوها به، ام هي في النهاية قبلت ان تتزوج هذا الفتى لانها ارادت ان تنهي حياتها على اي وضع من الاوضاع،.. ولكن، ولكن ماذا؟ ولكن هذا الذي هو من خيرة الرجال حسباً ونسباً .؟؟ وامتقع لونها وانسابت دموعها على خديها المقرورين، ولكنها اسرعت ومدت يدها تحت الشال الاحمر وجففتها، وهمت بان تقول لنفسها شيئاً آخر وهي في الهودج، بيد ان زميلتها التي هي احدث المتزوجات في القرية مالت عليها واسرت اليها اشياء اخرى كانت لم تسمع بها من قبل، فانعقد لسانها لمجرد سماعها وراح العرق يتصبب ماء من وجهها الذي شحب فجأة وغدا تحت الشال الاحمر كانه كتلة من الثلج، وظلت كذلك كأنها شبح من الاشباح لم تفطن الى شيء ولم تنتبه لما يدور من حولها، حتى الاحدى عشرة طلقة التي دوت في الليل عندما اناخ بها الجمل امام بيت العريس لم تسمعها، وكذلك لما دخلت الغرفة التي زينوها بالصور والتماثيل ورسموا على بابها صورة الزناتي خليفة في جانب ودياب بن غانم في الجانب الآخر، ودهنوا جدرانها بالجير، ووضعوا في قلبها السرير الكبير المرتفع الذي لا تبلغ سطحه الا بدرجات ثلاث — وهذا شعار اهل الثراء في القرية — حتى هذا كله لم تفطن اليه ولم تره . بيد انها بعد حين استيقظت فجأة عندما رأت الباب يفتح على مصراعيه ويدلف منه العريس فرحاً مبتهجاً يفيض شباباً وقوة ورجولة متوثبة تكاد تطفر من عينيه .

وتقدم منها ومد لها يده الصلبة المتحجرة وسط عاصفة من الزغاريد، فجاهدت نفسها جهاداً مراً حتى مدت له يداً ذليلة منكسرة ترتعش اناملها، ولما صافحها التفت الى النسوة الموجودات في الغرفة وامرهن بصوت كانه زئير الاسد في العرين ان ينصرفن جميعاً . وهمت امه بان تعترض ولكن نظرته ارعبتها فخرجت هي الاخرى ومن ثم اغلق الباب خلفهن واحكم اغلاقه .

ورأته وهي في مكانها على السرير العالي ككومة من الثلج تجمعت فوق جبل، يقبل عليها فخافت وارتعبت واغمضت عينيها حتى لا تراه . ولكنه اقترب منها في هدوء وكشف عن وجهها الشال الاحمر فلم تطرف ولم تنبس، فتناول ذراعيها المرتعشتين وضم صدرها المضطرب الى احضانه وقبلها في جبينها، فلم تطرف ايضاً ولم تنبس، ولما احس ببرودة جبينها والعرق الذي يتفصد منه ماء بارداً، تناول في هدوء — كوفيته — الحرير البيضاء ومسح على وجهها ومن ثم تركها ووقف منها غير بعيد يفكر، وبعد حين اخرج من جيبه منديلا مخضباً فرده امامه ونظر اليه، ولما اطمأن الى ما فيه فتح الباب والقى به على الجمع المحتشد خارج الغرفة ثم عاد واغلق الباب خلفه وسط عاصفة احدى وعشرين طلقة نارية صعدت تشق عنان السماء في الليل .

ومضت لحظات لا يعرف هو ولا تدري كيف مضت، ولا

« البقية في صفحة ٦٠ »

حياة

حياتي دموعْ
وقلب ولوع
وشوق ، وديوان شعر ، وعود !

حياتي ، حياتي اسى كلها
اذا ما تلاشى غداً ظلها
سيبقى على الارض منه صدى
يردد صوتي هنا منشدا
حياتي دموع
وقلب ولوع
وشوق ، وديـوان شعر وعود

بليل الشجون
وعمق السكون
تمر أمامي ، كحلم سرى
طيوف احبّاي تحت الثرى
فتزعج ناري خلف الرماد
ويغرق سيل الدموع وسادي
دموع الحنين
الى راحلين
مضوا وطواهم ظلام اللحود

بقلبي اليتيم
تنادي كلومي :
اطل بروحك يا والدي
لتنظر من افقك الخالد
فدونك ذل لنا اي ذل .
ونحن هنا بين افعى . وصل .
ونفث سموم .
وكيد خصوم .
بدنيا العقوق . بدنيا الجحود .

ويبدو خيال
بغفو الليال
خيال ابي شق حجب الغيوب
بعينيه ظل شعور كئيب .

☆☆☆

اراه ، فتهمي له ادمعي
ويحنو علي ، ويبكي معي
وادعو : تعال !
رحيلك طال !
بمن نستظل وانت بعيد ؟ !.

وفي ليل سهدي
يحرك وجدي
اخ كان نبع حنان وحب
وكان الضياء لعيني وقلبي
وهبت رياح الردى العاتية
واطفأت الشعلة الغالية



الآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

واصبحت وحدي
ولا نور جدي
الجلج حيرى بهذا الوجود !

وهذا شبابي .
امان كوابي .
شباب سقاه الاسى ورواه
اذا ما دعته اليها الحياة
واشواقها ، شده الف غلِّ
وطوقه الف طوق مذل
شباب عذابِ .
رهيب اغتراب ..
يضيع شذاه بأسر القيود ! .

واطرق راسي
بوحشة يأسي
وفي الروح تصخب اشواقها .
وفي النفس ترعد آفاقها .
وافزع للشعر سلوة روحي
اصور اشواق عمر ذبيح
فيهدأ حسي
وتخشع نفسي
وتسكن لهفة روحي الشريد !

واجذب عودي
لقلبي الوحيد
فتخفق اوتاره باللحون
تدهدهد قلبي وتجلو شجوني
بفني وشعري والحان عودي
اصارع الام عمرِ شهيد
وهذا نشيدي
نشيد وجودي
سيبقى ورائي صداه يعيد :
حيـاتي دموع
وقلب ولوع
وشوق ، وديوان شعر وعود ! .

اندريه جيد

بقلم شبابه بركات
ليسانسيه في الآداب

ليس لهذا الكاتب* الذي كان له ذلك التأثير المعروف عقيدة يذيعها بين الناس : فهو ينفي عن نفسه تهمة الكتابة من اجل التأثير على قرائه اذ انه يعتقد بانهم لا يستطيعون، وليس عليهم، ان يجدوا اتجاهاتهم الا بانفسهم. حتى ان المعنى العميق لآثاره يخفى عليه . غير انه اليس من الطبيعي ان يخفى معنى الاثر العميق على كل فنان حريص على صناعته مخلص لها ؟

وترجع صعوبة الكتابة في نقد جيد انه هو نفسه ناقد اكثر منه مبدعاً ، حتى انه قام هو نفسه بنقد ذاته في اكثر كتبه وامتاز هذا النقد بالحذق والمهارة .

ويحاول جيد باستمرار في يومياته اكثر منه في اي موضع آخر، ان يدافع عن نفسه وان يمجد غرائزه فيجعل من معايبه ميزات له. وهو يشير الى ان هذه اليوميات لا تعطينا فكرة صحيحة عنه لانه كتبها في فترات من الانحطاط النفسي. كذلك يهتم بتحذيرنا والقول بأنه يميل الى عدم تقدير مناقبه . ليعترف لنا بذلك في الصفحة الواحدة والثلاثين بعد الالف والثلاثمائة من يومياته، تلك اليوميات التي لم يكن له من همّ فيها سوى الحديث عن ذاته.

ويحاول جيد منذ العشرين من عمره ان يكون نظره اسرع حركة من وجهه فيقول في كتاب، (لو ان الحبة لا تموت) : « Si le grain ne meurt » كنت شديد العناية بشخصي . وان الاهتمام بان ابدو بدقة على الصورة التي كنت أشعر انني احياها او كنت اود ان اكونها ، كل ذلك جعل مني ما يسمى بالمتكلف «Poseur» « وكنت اتأمل تقاطيع وجهي باستمرار في مرآة مكتب صغير ورثته امي عن أنا Anna ووضعته في غرفتي كي ادرس عليه ».

وفي الثانية والثلاثين من عمره قص شاربه فتولته الدهشة من ضآلة التعبير المرتسم على شفته العليا. وهو بحاجة دائمة الى رضا الآخرين عنه وشعوره بحبهم له .

غير ان هذا لم يمنعه من ان يجد ضعة في نعته بالمهرج Comedien .

وانه لمن الصعب الحكم على رجل متقلب مخادع متكلف ليس له من حديث سوى التكلم عن الاخلاص .

— رجل يتمتع بتأثير عظيم رغم انه لا شخصية له بالمعنى العام لهذه الكلمة . ذلك انه رغم كل الاحتياطات فان نقائصه هي التي تبدو بوضوح من خلال يومياته : ضعف في الارادة، وقصور في الخيال وتهالك في الشخصية . والشيء المحزن في هذا ان «جيد» يعي احياناً هذه العيوب فهو يعلم انه لا يستطيع الامتناع عن التدخين رغم ما يسببه التبغ له من دوار ، وهو يعلم انه لا يستطيع الكف عن ملاحقة الغلمان رغم ما يشعر به من حب واحترام لزوجه .

وليس هناك من شخص يخضع للتأثير اكثر من اشد الكتاب تأثيراً في فترة ما بين الحربين . ولقد اشار البعض الى أثر نيتشه ودوستويفسكي وبليك وفرويد في آثاره فيجيب جيد على ذلك بقوله « ليس هناك من تأثير وانما هناك تجاوب في الافكار » .

ويدفع جيد عن نفسه تهمة استيحاء الكتب. ومع ذلك فهو غالباً ما يلجأ، واذا ما جفت القريحة، الى كتب مكتبته حيث يلجأ الى احد هؤلاء الرفاق القدماء الدائمين الذين لا يغادرون اماكنهم والذين يلقاهم في كل شيء.

وهناك تأثير أشد غرابة الا وهو تأثير كتب المؤلف على نفسه فيقول : « يبدو لي ان كل كتاب من كتبي لم يكن ثمرة حالة داخلية جديدة بقدر ما هو سبب لها. ذلك انني ما اكاد أهم بتأليف الكتاب حتى يسيطر هذا الكتاب علي باكملي ويصبح كل شيء في آلة مسخرة له. فليس لي من شخصية عندئذ سوى الشخصية التي توافق هذا الكتاب : هل هي شخصية موضوعية ام ذاتية ؟ تفقد الكلمات هنا معناها لانه اذا ما وقع لي ان اصف بالرجوع الى نفسي فما ذلك الا لانني اصبحت ذلك الذي اريد رسم صورة له » فهو يكتب للبحث عن ذاته اكثر منه لتأكيد هذه الذات . غير ان هذا الامل يبوء بالفشل دائماً .

وهو يسجل في الواحدة والثلاثين من عمره «بدأت اشعر بالتعب من انني لا اكون Je commence à être las de ne pas être وفي الثامنة والخمسين : « افتقر الى العبقرية بشكل لا يمكن تصديقه». وفي الواحدة والستين : « سوف يفضي بي الامر الى عدم التجرأ على الكتابة قط ». وفي السابعة والستين :« ليس ما يمنعني عن الكتابة التعب بل هو الاشمئزاز »..

* راجع كتاب : Ecrivains intelligents : E. Buchet

وتمضي السنون وتتراكم الآثار ومع ذلك فهو لا يني عن القول بانه لم يكتب شيئاً جديداً حتى الآن وانه اذا ما مات فلن يرضى عن الصورة التي يتركها وراءه .

ثم نشير الى ذلك الاحتقار لنفسه الذي يشعر به امام الناس والذي يشعر به امام الناس والذي كان دائماً مرضه الخفي الذى لا يجد منه مفراً لانه يجد فيه ثقة بتفوق الآخرين وشكاً بذاته وانكفاء عن فكره الشخصي لمجرد انه فكر شخصي .

وان اهم تأثير خضع له جيد بدون شك هو تأثير زوجته فيه. فقد كتب كل ما كتبه تحت تأثير امرأته وعلى امل ان يقنعها . ولكنه كان املاً خلباً لا طائل تحته .وهو يقول :

« لولا هذه التربية المسيحية وهذه القيود ولولا « ايم » Em التي كانت توجهني لما كتبت «اندريه والتر» ؛ ولا « اللااخلاقي » ، ولا « الباب الضيق » ولا « السمفونية الريفية » الخ .

ان الحب المغرق في الروحية الذي يشعر به نحو زوجته غالباً ما يصل الى درجة الشعور الديني ويثير فيه الحنين ويبعث في نفسه حالة من القلق والهم كما يوقظ في اعماقه بعض الصفات الموروثة ، عن اجداده .وتتراءى له الديانة وفكرة الطهارة الممثلتان في زوجه بعد كل اثم يرتكبه اذ ينبعثان من قلبه دون انقطاع كذكريات الطفولة فيثقلان كاهله .

ولما كان حبه لزوجه خالياً من الحسية فانه ظل بعيداً عن الغناء. وهو يغار من الله الذي يسلبه امرأته فيشعر بأنه لا يستطيع المقاومة لانه هزم مقدماً غير انه يشعر بكره هذا الخصم وكل ما يتصل به. « انني في كل مرة اعود فيها الى المسيحية فإنما افعل ذلك للحاق بها . وربما شعرت هي بذلك غير ان ما تشعر به غالباً هو انني افعل ذلك لانتزاعها منها » .

حتى اذا ما توفاها الله عجز جيد عن التعزي وامتنع عن تسجيل يومياته شهوراً عدة . ورغم انه لا يؤمن بالحياة الآخرة فانه كان يبدو له احياناً ان تلك الحياة التي كانت قدوة لقلبه لا تزال، من وراء القبر ، تؤثر فيه .

وليس من شك في انه يجب البحث عن الاسباب الخفية لحالة الحوار التي آثرها ، واتردده وكآبته في حبه لامرأته ، ولميله الجنسي الشاذ اذ انه لا يرى امامه سوى النزاع بين الفكر والحس ، بين الواجب والشهوة ، بين الله والشيطان، ولا يرضى جيد ان يتحمل وحده مسؤولية هذا النزاع .

ولما كان لا يتمتع بجرأة نيتشه فانه لم يجرأ على النضال بنفسه اذ انه شديد الاحساس بضعفه ويشك بشخصيته .

وهو مخلص ومحب ، كاره ومبغض شجاع وجبان ، ومتواضع ومتكبر عليك في نفس الوقت .

وهو ولا شك يتألم من هذه المتناقضات غير انه يتبجح بها ايضاً او انه يجد فيها على الاقل الشعور بالوجود .

ان رجلاً كهذا الرجل لا يمكن ان يتطور تطوراً داخلياً كما انه لا يمكنه ان يتبدل تبدلا متتابعاً .وليس لديه من شيء دائم سوى عيبه فهو يعود اليه دائماً .

ولقد بالغ الناس كثيراً في حديثهم عن « الشيطانية » عنده : « Son satanisme » حتى جعلوا منه معارضاً للصوفية . ولقد مر في سن المراهقة بازمة صوفية حادة وصفها لنا في كتاب «لو ان الحبة لا تموت » ومن ثم فهو يعطي لهذه الكلمة معنى خاصاً ضيقاً :

« افهم من الصوفية كل عقيده عمياء ».

واذا ما اراد ان يخدم الله فما ذلك الا بواسطة ذهنه . غير ان هذا الذهن يصل به الى اللااخلاقية العليا .والعقبة الوحيده الباقية هي في ضعفه وتمسكه بعيبه وعدم مقدرته على الامتناع عن ذلك.

« عفواً يا الهي» ، نعم انني اعلم اني كاذب .والحق ان هذا الجسد الذي اكرهه، انما احبه اكثر منك وانا اموت اذا لم استنفذ اغراءه . اطلب منك العون يا الهي دون توبة حقة » !

ونحن لا يمكننا ان ننكر انه احتفظ – وربما كان ذلك بفضل امرأته وثقافته – بفكرة الطهارة بصورة تخالف صورتها عندهويسمان مثلاً . « هناك طريقة خاصة لعبادة الله تترك في نفسي اثر الكفر. وهناك طريقة اخرى لنكران الله تتصل بالعبادة» هل يشير بذلك الى نيتشه؟ وعلى كل حال ومهما قال هو عن موقفه فانه موقف بروتستنتي صميم .

وهو ينضم الى الشيوعية باسم الانجيل والتقدم مدفوعاً باسباب عاطفية وحب المعرفة يتصف به رجل الفكر .

وكان لنشأته وحيداً في عزلة عن الآخرين نظراً لضعفه وشذوذه اذ انه طرد من المدرسة الألزاسية بعد ان فوجيء وهو في حالة الفعل الشنيع وعدم قيامه بالخدمة العسكرية وديانته المتطهرة ويسره المادي الذي لم يكن يضطره لكسب حياته ، كل ذلك جعل منه رجلاً يعيش في عزلته وحيداً . وقد هيأت له الشيوعية فرصة الاتصال الاول بالمجتمع وكان قد أربى على الستين من عمره فكان هذا الاتصال بمثابة اثارة له وتنويراً وخلاصاً وهو لا يكتم فرحه من انه عثر اخيراً على هدف لحياته ووجد عقيدة يخلص لها كل الاخلاص ويرجع عن كل ما تنهاه عنه .

«واذا كان لا بد من تضحية حياتي في سبيل نصر روسيا فانني ابذلها حالا » . يا لها من لذة تلك التي يشعر بها حين يندمج بالآخرين ويشعر كأنه مثلهم فيغيب بينهم .

ويحس جيد نحو الشيوعية بنوع من حب الاستطلاع العلمي : ما هي النتائج التي ستحدث بعد الغاء العهد كله والديانة ؟

ان هذه التجربة تثيره جداً . وهو مستعد للاضراب عن فنه في سبيل عقيدته الجديدة . ونحن نعلم عن خيبة امله في رحلته الى روسيا فقد عاد جيد بعدها الى عزلته بعد صدور كتابه : «عودة» Retour .

تفصلنا عن جيد حربان وعدة ثورات والسوف نتساءل قائلين : كيف يمكن لرجل بلغ من فقدان الثقة بنفسه هذا الحد وكان دائم الشك في فكره ولم يكن له قط هدف دائم فكان دائم التناقض في آثاره ان يكون له مثل هذا التأثير ؟

لكل عصر رجاله الكبار الذين استحقهم لانه اختارهم على صورته . وهذا العصر المفعم بالضجيج ، المتعطش للذات القلق حتى حد الهم ، المتفكك الاوصال يرى نفسه في هذا الاخلاقي بدون اخلاق ، في كاهن الفرح الكئيب .

واذا لم يكن جيد صورته الصحيحة فانه انبأ عن رغباته واكتشف ميوله وعكس كآبته فهو يتقدم دائماً على العصر والعصر يلحق به ويجد في مؤلفات كتبت منذ عشرين سنة ما يبحث عنه .

ماذا يبقى اذن من شخص انكر الماضي ولم يعبأ بالمستقبل ولم يحفل بسوى اللحظة الحاضرة ؟

لتأثير جيد وجهان يجب التمييز بينهما دون الفصل بينهما فصلاً مطلقاً . اما من وجهة النظر الادبية فان عبادته للشكل ونقاء لغته ووضوح جمله الموسيقية ما يبعث على الاعجاب .

غير ان اخلاقيته المنحطه واباحته ارتكاب كل شيء وكتابة كل شيء باسم الفن واثارته لاحط الانفعالات ومسامحته بكل انواع الضعف بحجة تحرير الفكر كل ذلك كان مجلبة للضرر .

فلقد اباح نوعاً من العبث خطيراً اباحياً هو «الجيدية» le gidisme وليس هو فقط ناشر عادة الاتصال الجنسي الشاذ ولكنه ايضاً ناشر فكرة العبث la gratuité واللااخلاقية والتعارض l'ambivalence حتى اصبحت الطريقة « الجيدية » طريقة ارتكاب نزوات الشباب والتظاهر بالذكاء . واما عدم اتباع هذه الطريقة بالامتناع عن ارتكاب نزوات الشباب والاستمرار في التعبير عن العواطف النبيلة فان ذلك اصبح رمزاً للغباء .

ولقد أثار جميع المسائل دون ان يحل واحدة منها . واستغل ضعفنا وضعفه محاولا ان يجعلنا نعتبره فضيلة . قام بكل ذلك دون ان يعبأ بمسؤوليته الخاصة :

وكم تخيب الصفحات الاخيرة ظننا وما اشد الفرق بين شيخوخته وشيخوخة جوتيه ، وما اشد افتقارها للصفاء واكاد اقول للسمو . غير ان هذا ليس صحيحاً في اطلاقه فقد عاد جيد وانكر ايضاً طريقته الجديدة التي اتبعها بارتياح .

ان رجلاً كهذا الرجل لا تنقصه الشجاعة ولا السمو . ولا شك في انه قد احتفظ بطهارته .

وليس من شك في ان افضل جوانب جيد ليس في جيد القاص ولربما ليس في المبدع ايضاً بل في جيد القارىء والناقد ولربما في المستمع ايضاً . ذلك الذي تدفعه غريزة حب الاستطلاع الدائمة للقيام بابحاث في الآداب الفرنسية والانكليزية والالمانية والروسية فيكتب عن دستويفسكي ويترجم شكسبير وبوشكين وبليك وكونراد وتاغور . ذلك الرجل الشريف رجل المعارف الذي يتخطى دائرة الادب ويشعر بالحاجة للقيام بدراسات علمية او موسيقية .

ان « جيد » المتعطش لكل انواع الغذاء يمكن ان نطلق عليه اكثر مما نطلق على فاليري وبروست اسم آخر الانسانيين الفرنسيين . يجب علينا ان نذكر « جيد » في اللحظة التي ينتزع فيها ادباء شبان الادب الفتي من عبث جيد . واذا كانت مدرسته قد انقرضت واصبح اكثر كتبه هالكاً لان المشاكل التي اثارها لم تعد تهمنا فان الحكم الذكي على هذا المخلوق العديم الشخصية القوي الفردية يتيح لنقاد المستقبل ان يتجهوا في خضم الامواج المتلاطمة التي كانت تهدد الادب في مطلع هذا القرن .

شعبان بركات

السيدة دو مانتنون

بقلم فدري قلعجي

☆☆☆

ولدت فرنسواز دو بينيه في السجن . هكذا تبدأ قصة هذه المرأة التي عرفها التاريخ باسم السيدة دو مانتنون !

لقد كان جدها صديقاً حميماً للملك هنري الرابع ، ولكن اباها كان مغامراً خطيراً ، يشرب الخمر ، ويسفك الدم ، ويقطع الطريق ، فزج في سجن نيورت ، واذا به يغوي ابنة السجان ، ويرزق منها فرنسواز في سنة ١٦٣٥ ، ثم تساعده خليلته على الهرب فيتزوج منها ويهربان الى كندا ثم الى المارتينيك ، فتصاب الزوجة بمرض يقضي عليها ، ويبقى السيد دوبينيه في حيرة من امر فرنسواز الصغيرة ، ثم يرسلها الى قريبة له في فرنسا تدعى السيدة دونويان، فتبادر هذه بارسالها الى الدير.

ان هذه الطفولة الحافلة بالمفاجآت، تكفي وحدها مادة لقصة شائقة . ومع هذا فان قصة فرنسواز دوبينيه لم تبدأ بعد . والمفاجآت التي تنتظرها أدعى الى الدهش والاستغراب !

ظلت فرنسواز في الدير حتى بلغت ربيعها السادس عشر ، ثم رحلت الى باريس وهي لا تملك شيئاً من حطام الدنيا ، فاشفقت عليها بعض الاسر التي كانت تربطها باسرتها صداقة قديمة، وأحاطتها برعايتها .

وكانت الفتاة ممشوقة القامة ، كستنائية الشعر ، ذات أنف بديع التكوين ، وفم رسمته يد صناع ، وعذوبة وديعة محببة ، وعينين رائعتي الجمال تفيضان عاطفة وذكاء . وهي الى هذا متقفة ذات حيوية صارخة وظرف خلاب . فلفتت اليها الانظار ، وفكر الاسياد الكبار الذين لجأت الى كنفهم بضرورة تزويجها باسرع ما يستطاع .

المركيزة دو مانتنون



ولكن من ذا الذي يتزوج فتاة لا بائنة لها ، وقد توفي ابوها في غمرة البؤس والرذيلة ؟ !

لم يتقدم لخطبة الفتاة غير رجل واحد شغف بها شغفاً عظيما ، هو الشاعر سكارون . وكان هذا الشاعر يتمتع بشهرة واسعة في اوساط النبلاء ، وقد عين له البلاط مرتباً غير يسير ، الا انه كان قبيحاً مفرط القبح ، وهو فوق هذا قعيد مشلول الساقين منذ طفولته ، وقد انهكه الروماتيزم فأذوى جسده وأفسد خلقه . ومع

ذلك فقد وافقت فرنسواز على الزواج منه ، حين عرفت رغبة الاسياد الذين شملوها بحمايتهم ، وعندما سئلت كيف ترضى بمثل هذا الرجل زوجاً لها ، اجابت .

— ماذا تريدون ؟ لقد رأيت انه خير لي ان اتزوجه من ان اعود الى الدير !

وانتقلت فرنسواز الى بيت زوجها ، واذا كانت لم تستطع ان تغمره بحبها فقد احاطته بشفقتها . وكان سكارون يحب عشرة الشبان الظرفاء ، فأحبها غير واحد منهم ، وحاول الظفر بقلبها ، ولكنها كانت توقف محاولاتهم بحزم ولباقة ، ان لم يكن وفاء لزوجها ، فحرصاً على شرفها وسمعتها . عدا عن انها لم تكن ترى في الرجال عامة ما يدعو الى الاعجاب والاحترام ، وقد عبرت عن ذلك فيما بعد في رسالة كتبتها الى اميرة الاورسان قالت فيها :

« .. نعم يا سيدتي ان اكبر المصاعب انما تصدر عن نقائص الرجال ، فهم ، في الاغلب ، اصحاب غرض ، وحسد ، وسوء طوية لا يستجيبون للخير ، ويعتقدون بان جميع العواطف التي لا تتلاءم مع مشاعرهم ، هي عواطف خيالية » .

وقد ساعدها هذا النفور من الرجال على الاحتفاظ بكرامتها ، والافلات من الشباك التي كانت تحاك حولها ، واحاطة زوجها التعس بعطفها وطيبتها وحنانها . اما هو فكان يحبها بشغف عظيم وقد عني بتوسيع معارفها ، وتعليمها اللغتين الايطالية والاسبانية . وكان يبدو سعيداً معها ، بالرغم من آلامه الجسدية ، لا يفتأ يضحك ويملأ جو المنزل دعابة ومرحاً ، بينا تبدو عليها الوداعة والبساطة والعذوبة يمازجها قليل من التحفظ والانطواء على الذات .

وكان كلما خاطبها ناداها بقوله : « يا حبيبتي . » فتجيبه بقولها « يا صديقي » .

وشاء القدر ان يموت هذا الصديق وفرنسواز في سن الخامسة والعشرين ، وان تجد نفسها مرة اخرى فقيرة معوزة ، وان تلتمس المعونة لدى اصدقائها من جديد . فاذا بالصداقة تربط بينها وبين بعض السيدات النبيلات ، فتأكل على موائدهن ، وتؤتمن على اسرارهن . اما منزلها فقد استغنت عنه وحلت في غرفة بالدير .

وكانت السيدة دومونتسبان ، محظية الملك في ذلك العهد ، قد رزقت من جلالته ولدين . فأخذت تبحث عن مربية خليقة بان تعنى بهما ، ووقعت على ارملة سكارون ، اذ وجدت فيها المرأة الامينة الوفية التي تبحث عنها والتي تمتاز الى ذلك بثقافة واسعة ، فطلبت منها تربية الولدين

ولكن السيدة سكارون كانت امرأة تقية لا تتسامح في العلاقات الجنسية غير الشرعية ، فلم تقبل هذه المهمة دون شروط ، وقالت :

— اذا كان هذان الولدان من ابناء الملك حقاً ، فاني على استعداد للقيام بتربيتهما ، ولكني اريد ان اتحقق من ذلك ، وان يأمرني جلالة الملك بنفسه بالعناية بهما . هذه هي كلمتي الاخيرة !

وراحت السيدة دومونتسبان تتوسل الى صاحب الجلالة ان يستقبل السيدة «سكارون» ليأمرها بتربية الطفلين فتتحقق من انهما ولداه ؛ وكبر ذلك على الملك لانه لم يكن من المعجبين بالشاعر الراحل ، وما كان اسمه ليثير في نفسه غير النفور ، وقد شمل هذا النفور زوجته ايضاً وان لم يكن قد رآها من قبل . ولكن الخليلة الجميلة الحت ، واستجاب الملك اخيراً لهذا الالحاح ، فسمى فرنسواز دوبينيه ارملة سكارون مربية رسمية لولديه غير الشرعيين .



مدام دو مانتنون

انتقلت فرنسواز على اثر ذلك الى منزل كبير منفرد في قرية فوجيرار بضواحي باريس حيث اقامت مع الاميرين الصغيرين . وبدأت منذ ذلك الحين حياة جديدة مزدوجة ، فهي في فوجيرار مربية وطاهية وممرضة ، تقدم للطفلين طعامهما ، وتقوم بجميع شؤونهما ، وتلقنهما مبادىء القراءة والكتابة والمعارف العامة . وهي في صالونات باريس امرأة من نساء الطبقة الراقية تعاشر السيدات

النبيلات وتحضر مجالسهن وتؤتمن على اسرارهن .

وكان الملك حريصاً على ان يظل أمر ولديه غير الشرعيين سراً خفياً ، فكتمت فرنسواز هذا السر ولم تبح به لاحد . وكان لويس الرابع عشر كلما تاق الى رؤيتهما زار في الخفاء ذلك المنزل المنفرد في قرية فوجيرار . فاتيح له ان يتعرف بمربيتهما، وان يراها مرة بعد مرة ، فتقع من قلبه موقعاً حسناً ، ثم يشغف بها .

ويبدو ان صاحب الجلالة كان قد ضاق بالسيدة دومونتسبان وسئم عشرتها ، لما يعاني من غيرتها والحاحها ومطالبها المتواصلة ، فاطمأن الى هذا الجو الهادئ الوادع الذي ينعم به كلما جلس الى السيدة سكارون ، واراد ان يتخذها خليلة له ، وادهشه ان تمتنع هذه المرأة عن تلبية رغبته بينا تتهافت نساء البلاط عليه ويتنافسن على الحظوة بهذا الشرف العظيم !.

وبادر لويس الرابع عشر الى رفع فرنسواز الى مرتبة النبلاء فأقطعها املاكاً شاسعة ولقباً رفيعاً ، فأصبحت تدعى السيدة دومانتنون . ولكن ذلك لم يغرها ولم يضعف مقاومتها ، فظلت تأبى على الملك تحقيق امنيته ، مما اغضبه وحمله على الاتجاه بعاطفته نحو السيده فونتانج المرأة الفتية اللعوب ، غير ان قلبه ظل مولعاً بفرنسواز .

ولم تكن السيدة دومونتسبان لتجهل ما يجري ، وقد قالت للسيدة دومانتنون يوماً :

— ان للملك ثلاث خليلات : خليلة اسماً هي انا ، وخليلة فعلاً هي فونتانج ، وخليلة قلباً هي انت .

وكان غضب السيدة دومونتسبان يزداد احتداماً كلما تذكرت انها هي التي خلقت شقاءها بنفسها اذ قدمت فرنسواز الى الملك .

ويقضي على السيدة دوفونتانج الصبية الحلوة بينا كانت تعطي الحياة ولداً تعسر وضعه ، ويخيل الى مونتسبان انها ستستعيد مكانتها السابقة في قلب الملك ، واذا بصاحب الجلالة يقرر اقصاءها من البلاط ، ويعهد الى فرنسواز بتبليغها امر جلالته . ويشق على السيدة دومانتنون ان تقوم بهذه المهمة ، ولكنها لا تجد بداً من الاذعان لامر صاحب الجلالة .



الآنسة دو مونتانج

لقد تقدم لويس الرابع عشر في السن ، وبات في اشد الحاجة الى السيدة دومانتنون صديقته الطاهرة ، وامينة اسراره ، وسميرة وحدته ، ورفيقة شيخوخته . وكانت فرنسواز قد اشرفت على الخمسين من عمرها ، ولكنها لم تفقد كل جمالها ، واحتفظت عيناها ببريقهما ، اما ذكاؤها فقد بلغ قمته .

وكان الملك لا يزال يحبها ، بل كان حبه لها يتعاظم باستمرار ، وهي تأبى دائماً ان تكون خليلة له . فلما توفيت الملكة ماري تيريز في تموز سنة ١٦٨٣ ، لم يتردد لويس الربع عشر من عقد قرانه على السيدة دومانتنون ، لانه ايقن بأنه لن يستطيع الظفر بها الا عن هذا السبيل .

وقد تم هذا الزواج سراً بحضور المركيز دومونشيفروي والوصيف بونتام ، وباركه المونسنيور دوهارلي اسقف باريس ، اذ لم يكن في وسع الملك ان يجعل من زوجته ملكة شرعية وهي ليست من الدم الملكي !!.

وعاش الزوجان بعد ذلك سنين عديدة ولكنها كانت سنين كئيبة شاهد الملك شؤون بلاده تسوء واوضاعها ، تضطرب فتجتاحها الحروب وتنشب المجاعة مخالبها في بنيها . ورأى اسرته تضمحل ، واولاده فاحفاده يموتون جميعاً واحداً بعد آخر . وعانى الآلام كلها ورزح تحت عبء المرض ، ولم يعد له في الدنيا غير فرنسواز التي كان يعبدها على طريقته الخاصة ، طريقة كهل تعاظمت انانيته وقساقلبه .

وكانت فرنسواز تتحمل قسوته وانانيته ، وتعيش معه في عزلة تامة لا يزورهما فيها غير الاب لاشيز . ولا تفارقه الا لتزور مؤسسة سان سير حيث تربى بنات النبلاء اللواتي فقدن آباءهن اوادركتهن الفاقة ، فان زيارة هذا المعهد كانت متعتها الوحيدة .

وكذلك كانت السيدة دومانتنون تحب الملك على طريقتها الخاصة ، فقد احاطته بعنايتها حتى ساعاته الاخيرة ، ولكنها ما كادت تؤمن بأنه اشرف على الموت حتى غادرته الى معهد سان سير ، تاركة اياه مع الاطباء والممرضين الذين احاطوا به . فلما اخذ يلفظ انفاسه الاخيرة ، اجال بصره فيمن حوله باحثاً عن صديقته العجوز فلم يجدها !..

قدري قلعجي

بين الحكمة والفن

بقلم ابراهيم العريض

●

« انا وابو تمام حكيمان . والشاعر البحتري » .

كلمة تنسب الى المتنبي[1] قديماً توقفت عندها استجلي ما وراءها من سر غامض لا اكاد ادرك كنهه ، سر . . فطن اليه ذلك الشاعر الجبار فحاول ان يفضي به في كلمة خاطفة الى الاجيال. فالذي كان يحيرني من امر هؤلاء الثلاثة – لاة الشعر وغزاه ومناته. كما وصفهم ابن الاثير – هو انهم قد نظموا الابيات في معان « تقليدية » كثيراً ما جمعتهم على صعيد واحد . وقصدوا القصيد في مواضيع من المدح والرثاء والوصف والغزل مشتركة ، حفل بها العصر الذي سبقهم . ومع هذا تجد بينهم اختلافاً بيناً يلمس باليدين. قد جاوز شعرهم الى تقدير الادباء انفسهم لقيمة هذا الشعر ومن ثمة الى تقدير المنزلة التي يحتلونها بعضهم بالنسبة الى بعض تحت سماء الضاد :

ينشد أسبقهم نضو اسفار :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى	ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى	وحنينه ابدا لاول منزل

فيغني الثاني جذلا طروبا :

أتراني مستبدلا بك ما عشـ	ـت ـ بديلاً ، او واجداً بك ندّا
حاش لله ! انت افتن الحا	ظاً ، واحلى شكلاً ، واحسن قدا

فيعقب عليهما الاخير بمرارة :

ومن لم يعشق الدنيا قديماً	ولكن لا سبيل الى الوصال
نصيبك في حياتك من حبيب	نصيبك في منامك من خيال

كان امر هذا الاختلاف يحيرني . أنى منشؤه، هذا الاختلاف الظاهر بينهم وبين غيرهم ، والقائم بينهم وبين انفسهم . اهو في الالفاظ ؟ أهو في المعاني ؟ اهو في البيان ؟ اهو في البديع ؟ اهو في الاسلوب؟ ثم ما هو هذا « الاسلوب » ؟ وكيف جاز على ضوء ما نسميه بالاسلوب ان يسلك الاولان في سلك . وتقام للثالث دونهما راية وحدة ؟

***

كلما امعنت النظر في الشعر – بالمعنى الذي يجب ان يفهم الشعر – تبين لي بوضوح وازددت يقيناً انه (اي الشاعر) ليس سوى تعبير عن الشخصية – شخصية الشاعر . وان الاختلاف في التعبير بين شاعرين يتناولان موضوعاً بعينه او يستجيبان لعاطفة واحدة لا يمكن فهمه الا برده . كما بينت في غير موضع[2] – الى الوسائل التي تتكافأ مع شخصية كل منها في التعبير عن نفسها . حسب موقف كل شاعر من الحياة ونظرته اليها . في وشاح هذا الاساوب .

فالاساليب انما تختلف باختلاف طبائع الشعراء .

تأمل الفارق الدقيق في مفهوم المجد بين شاعرين مثلاً . حسب موقف كل شاعر من الحياة ونظرته اليها . فهذا امرؤ القيس

---

(١) وبعض المصادر تنسب هذا الحكم الفاصل الى المعري اذ سئل عن الثلاثة فقال : « اما المتنبي وابو تمام فحكيمان . والشاعر البحتري . . . »

فكأنه ترديد لقول المتنبي نفسه من شاعر حكيم مثله كان يسلم للمتنبي بالاستاذية في كل شيء .

(٢) راجع «منزلة الشعر بين الفنون ـ العاطفة في الشعر» (مجلة الاديب ١٩٤٨)

تأخذه عزة بالملك هو اهل لها فيقول :

ولو ان ما اسعى لأدنى معيشة   كفاني ـ ولم اطلب ـ قليل من المال
ولكنما اسعى لمجد مؤثل   وقد يدرك المجد المؤثل امثالي

وهذا ابو تمام يظهر لك ما عنده من اعتداد بالنفس لا يقف في سبيلها شيء. فيقول :

يقول في «قومس» صحبي، وقد أخذت   منا السرى وخطا المهرية القود :
« امطلع الشمس تبغي ان تؤم بنا»   فقلت «كلا ! ولكن . . مطلع الجود »

فهل يدرك طعم العزة التي يطفح بها قول ذاك ، الا من تقلب مثله في معارج السلطان ؟ وهل يدرك بعد الشقة التي يتحدث عنها هذا ، الا من نفض مثله غبار الطريق الى خراسان . وارجوك ان تلاحظ ما في القطعتين من دلالة نفسية بالاضافة الى مدلولهما التاريخي.

وهنا المدخل للطلسم السحري . . فـ« الحي » بطبيعته يقف من الحياة موقفاً وينظر اليها نظرة . . لا يمكن فيهما ان يشاركه سواه . اذ ان هذا الموقف وتلك النظرة هما سمة الشخصية التي يعين « الحي » بها مجاله بين الاحياء . هل يفعل « الشاعر » غير ذلك .

***

ان كل شاعر (بغض النظر عن مقامه الاجتماعي) هو ، باعتبار موقفه من الحياة اولا : اما منطو على نفسه كالكوكب المنقض في اضيق مجال مثل المجنون في حب ليلاه.

وداعٍ دعا ، اذ نحن بالخيف من منىً   فهيج احزان الفؤاد ، وما يدري
دعا باسم « ليلى » غيرها ، فكأنما   اطار بليلى طائرا كان في صدري

او منطلق كالشعاع الكوني خارجها الى اقصى حدود الشمول مثل المتنبي في تقنص الحقائق .

نحن ادرى – وقد سألنا بنجد   اقصير طريقنا . . . ام يطول
وكثير من السؤال اشتياق   وكثير من رده تعليل

وهو . . باعتبار نظرته الى الحياة ثانياً : اما متفائل كالربيع الضاحك بازهاره مثل هذا العاشق المجهول في انتظار فاتنته المجهولة :

ان لي عند كل نفحة ريحا   ن من الفل ، او من الياسمينا
نظرة والتفاتة . . . اترجى   ان تكوني حللت فيما يلينا

او متشائم كالسماء الملبدة بالغيوم مثل ابن الاحنف تدلها بفوز :

احرم منكم بما اقول ، وقد   نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأني ذبالة نصبت   تضيء للناس وهي تحترق

فهي اذن حالات ، تتراوح فيها نفوس الشعراء بين هذين « القطعتين » على درجات .

وكذلك الخلق كلهم . مع هذا الفارق وهو ان الشاعر انما تظهر قدرته فيما يتخذ من وسائل فنية لترك هذه الشخصية ماثلة للعيان . وكذلك قلت[٣] ان النقد الادبي لا يهمه في الشعر – كما لا يهمه في اي فن آخر – قيمة هذه الشخصية بمقدار ما يهمه توفيق الشاعر في تشخيصها وابرازها للعيان .

وهل يهم النقد الادبي مثلاً ان هذين البيتين قائلهما شاب غرير.

ولولا ان تمنفني قريش   وقول الناصح الادنى الشفيق
لقلت اذا التقينا : «قبليني»   ولو كنا على ظهر الطريق

او ان هذين البيتين قائلهما سكير :

ما زلت استل روح الدن في لطف   واستقي دمه من جوف مجروح
حتى انثنيت ولي روحان في جسدي   والدن منطرح جسماً بلا روح

او ان هذين البيتين (في سباق الخيل) قائلهما امير :

خرجن ، وبعضهن قريب بعض   سوى فوت العذار او العنان
ترى ذا السبق والمسبوق منها   كما بسطت اناملها اليدان

او ان هذين البيتين قائلهما ضرير :

مل المقام ، فكم اعاشر امة   امرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية، واستجازوا كيدها   وعدوا مصالحها ، وهم اجراؤها

بمقدار ما يهمه منها « الاصالة » في التعبير .

***

اذن فظهور هذه الشخصية في الشعر لا يكون الا في اسلوب الشاعر . على تباين في الاساليب . وكأنما تظهر عن سبيلين لا ثالث لهما . تلتقي بها ارواح الشعراء . في النهاية – على ما يقوم بينهما من مفارقات – حول الغاية التي تستهدفها الحياة . . وما هي الا الاحتفال بالحياة نفسها .

فما هما هذان السبيلان اللذان تسلكهما الروح الشاعرة . . وكأنها روحان .

سبيل اولاهما هو « التغلغل » .

انها تتغلغل بالفطنة . فتتلمس مواطن الجمال – ونحن انما نستعمل كلمة « الجمال » هنا بأوسع معانيها – لتدرك جوهره الخالد في ظواهر الوجود . تسم الشاعر بالبصيرة الخارقة وتنير آفاقها خارج الذات الشاعرة بالذهن الوقاد . فتعلو آيته كشواظ من نار ممزقة حجب الظلام . يا لها من روعة وجلال .

ان هذه الروح في الشاعر تهزنا بتغلغلها الى كنه الاشياء، ورفعها جوانب القناع المسدل على وجه الحق. وربطها بالنتائج الاسباب. فتعدينا بمعنى الطرب كلما بلغت – بالقوة – غرضها من التوفيق.

فهؤلاء هم شعراء الحكمة وعلى رأسهم – عندنا – المتنبي.

تأمل مثلاً آيته في عبرة الزمان :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا   وعناهم من شأنه ما عنانا
وتولوا بغصة كلهم منـ   ـه ، وان سر بعضهم احيانا

(٣) راجع المصدر نفسه.

ربما تحسن الصنيع ليالي … ه ، ولكن تكدر الاحسانا
وكأنا لم يرض فينا بريب الـ … دهر ، حتى اعانه ، من أعانا
كلما انبت الزمان قناة … ركب المرء في القناة سنانا
ومراد النفوس اصغر من ان … نتعادى فيه وان تتفانى
غير ان الفتى يلاقي المنايا … كالحات ، ولا يلاقي الهوانا
ولو ان الحياة تبقي لحي … لعددنا اضلنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بد … فمن العجز ان تكون جبانا
كل ما لم يكن ، من الصعب في الانـ … فس ، سهل فيها اذا هو كانا

انها عشرة ابيات تلم بفلسفة الحياة كلها . وقد صهرت معانيها نار البصيرة وحدها .

وسبيل الثانية هو « التجاوب ».

انها تتجاوب بالاحساس . فتحاول ان تعديك بما كان لوقائع الحياة داخل الذات الشاعرة من صدى ورنين تختلف الوانه حسب الاحاسيس الملابسة لها . تسم الشاعر بالشعور المرهف ويجلجل اجراسها القلب الخفاق . فتتلاطم بتيارها الشعوري كأمواج البحر حول الصخور . يا لها من فتنة وجمال .

فكأن هذه الروح في الشاعر تتجاوب مع الحياة لتنشئها كل حين خلقاً جديداً . واذا بكل تعليل شعري تنقب به الحقيقة بين يدي احساسها يمس - برفق - في كل نفس وتراً حساساً يهزها هزاً فيزيد الحقيقة فتنة وجلاء .

وهؤلاء هم الشعراء الفنانون . وفي طليعتهم - بيننا - البحتري واليك على قيثارته عبرة المتنبي نفسها ممزوجة بعبراته .

محل على « القاطول » اخلق دائره … وعادت صروف الدهر جيشاً تغاوره
كأن الصبا توفي نذورا اذا انبرت … تراوحه اذيالها وتباكره
ورب زمان ناعم - ثم - عهده … ترق حواشيه ويورق ناضره
تغير حسن « الجعفري » وانسه … وقوض بادي « الجعفري » وحاضره
تحمل عنه ساكنوه فجاءة … فعادت سواء دوره ومقابره
اذا نحن زرناه ، أجد لنا الاسى … وقد كان قبل اليوم يبهج زائره
ولم انس وحش القصر ، اذ ريع سربه … واذ ذعرت اطلاؤه وجآذره
واذ صيح فيه بالرحيل ، فهتكت … على عجل استاره وستائره
ووحشته . . حتى كأن لم يقم به … انيس ، ولم تحسن لعين مناظره
كأن لم تبت فيه الخلافة طلقة … بشاشتها ، والملك يشرق زاهره

انها عشرة ابيات . . مثل الاولى ولكنها تختلف بروحها عنها كل الاختلاف . فهي لا تعنى بالتقرير بمقدار ما تعنى بالتأثير . هذا التأثير الذي لسنا بصدد تعرف مصدره الآن وقد شمل العين والاذن والقلب معاً[4] .

---

(٤) راجع « منزلة الشعر بين الفنون - الشعر كفن جميل » (الاديب ١٩٤٨) . وستجد تعليل ذلك في بحثنا « الاساليب الشعرية » .

عقل وعاطفة .

هذا هو الفارق في الاساس بين الشعراء الذين ينسجون على منوال الحكمة وبين اخوانهم الذين يحوكون على طراز الفن ، بين الشعر الذي يرتكز على الحقيقة وصنوه الذي يرفرف مع الخيال . بين زهير والنابغة في الجاهلية وبين ابي تمام والبحتري في الاسلام . من سمات الاولين هذه الاحاطة والشمول خارج الذات الشاعرة ومن صفات الآخرين هذا التجاوب والاصطلاء داخلها .

على اننا اذا ميزنا بين الحكمة والفن بالنظر الى جوهر الموضوع من طرفيه المتقابلين . لم نعن - ولا ينبغي ان يفهم - ان عامل الطرب مفقود في احدهما . وان اقتصرت الاولى على المتعة العقلية والثاني على النشوة الروحية في اغلب الاحيان . فـان الشعر يسلك

بهما – في الآداب السامية بوجه عام والادب العربي على وجه الخصوص[٥] – في سمط واحد . ويدنيهما من بعضها بعضاً ، حتى يوشك ان يصبح هذا ذاك .

وهو اذا فعل ذلك اسبغ على الاولى من الصفات . . . النصاعة والوضوح ، على لسان شاعر حكيم يؤتي في المجتمع – بالايجاز – فصل الخطاب . واسبغ على الثاني من الصفات . . التوهج والاشراق . على لسان شاعر فنان توحي اليه عزلته – بالترجيع – همس الارواح .

فالشعر الذي يحمل طابع الحكمة من سماته اذن هذا التغلغل الى الدقائق والاحاطة بالاطراف – كما رأينا – في كل موضوع يتناوله صاحبه . فهو يعتمد – اول ما يعتمد – في لطف الاخراج والتقصي ، على الذهن الوقاد . لا على القلب الحساس . زمامه بيد العقل الواعي ، لا الروح الرفافة . فاذا استعان بالخيال على شأن من شئونه كان عمله مقصوراً على . . التوليد والاختراع .

ومن هنا صح تشبيه الحكمة في اسلوبها – هذا الاسلوب المعجز – بفن « النحت » بين الفنون لتشددهما وتشابههما في الدقة والشمول . اذ تتبين فيها الفكرة كالتمثال المنحوت . من حيث ما واجهتها مقطوعة محدودة في الفاظ حدها الفاصل هو الايجاز .

والشعر الذي يتشح بوشاح الفن من خصائصه هذا التجاوب من الداخل والانفعال المنسجم امام كل مشهد يمس صاحبه من قريب . فهو يعول – وما اكثر ما يعول – في تنغيم الاداء وتلوين الايحاء على المخيلة الشاعرة . لا على البصيرة الواعية . يمده القلب الحساس بحرارته . لا العقل النير . فاذا عكس الحقيقة في وهج شعوره جلا الضوء خيالها في مرآته آية في . . الخلق والابداع .

وهذا هو الشعر بالمعنى الدقيق . ومعجزته الكبرى هو التباين في الاساليب التي تشف عن ذوات ذويها كما يشف الحرير عن لابسه . ولا حاجة هنا الى تلمس وجوه الشبه بينه وبين سائر الفنون من جديد[٦] . ما دام هو كعمل المخيلة الشاعرة يقتبس اريحيته من كافة الفنون ويسبغ روحه عليها . كما شرحنا ذلك مفصلاً في غير مكان[٧]

فهذا هو الفرق بين الحكيم والفنان .

***

واذا كان لا بد من سوق الامثلة فان المثال التالي من شعر المتنبي – على بساطته – يوضح ما نريد . قال المتنبي :

يا من نعيت على بعد بمجلسه	كل بما زعم الناعون مرتهن
كم قد قتلت وكم قد مت عندكمو	ثم انتفضت فزال القبر والكفن
قد كان شاهد دفني قبل قولهم	جماعة ، ثم ماتوا قبل ان دفنوا
ما كل ما يتمنى المرء يدركه	تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

والشاهد هو البيت الاخير . وانما اوردنا الابيات الباقية لتعرف سياق الكلام .

يحدثنا التاريخ ان الخطاب في هذه الابيات موجه الى سيف الدولة . وكان قد بلغ المتنبي وهو في مصر ان الشامتين من اعدائه اشاعوا لدى ممدوحه في حلب بانه هلك . فكانت النونية – وهي من خير قصائد المتنبي – والتي منها هذه الابيات ، رد فعل لهذه الشائعة . فلنتابع الشاعر الحكيم في الخواطر التي اثارها الحادث . على هدى الابيات فماذا نرى ؟

يخطر للشاعر من المعاني

١ – لا محل للشماتة في الموت . فكل حي هالك لا محالة .

٢ – ان خبر هلاكي ليس سوى امان ضالة من باب خدعة النفس تعلل بها الشامتون .

٣ – كم كاذب بيّت الشهادة بوفاتي زورا اصبح وقد غالته الغول

٤ – ان ادراك الاماني وقف على ظروف لا سلطان للمتمني عليها .

وتعليقنا عليها

– كلمة حق في محلها

– رد الشماتة بمثلها

– جائز عقلاً فالحياة تزخر بأمثال المفارقات

– حقيقة لا تنكر

ففي هذا البيت الاخير :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه	تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

ترى ان المتنبي انتقل من التفكير في الاشاعة التي خرصت بها الالسن حول موته المزعوم وما تعلل به الشامتون من كاذبات الاماني الى التفكير في الاماني مطلقاً . بعد ان جردها من ملابساتها تلك . فلنتابعه في خطوات هذا التفكير خطوة خطوة . لعلنا نهتدي الى منبع الحكمة التي كان يغرف منها .

خطر للمتنبي فيما خطر .

ان المرء ليتمنى . ويسعى في تحقيق امانيه . ولكن هل هو بالغ كل ما يتمناه ؟ لا . فهو اذا حالفه التوفيق مرة . . باء بالفشل اخرى . ولماذا ، لان تحقيق آماله خارج عن سلطانه اغلب الاحيان . ان ادراك الاماني يتعلق بظروف لا سلطان للمرء عليها . وهذه

---

(٥) راجع مقال البروفسور ماسينيون حول « مقام الثقافة العربية » (الكتاب – فبراير ١٩٤٩)

(٦) وفينا هذا الموضوع في الفصول الاخيرة من « منزلة الشعر بين الفنون »

(٧) راجع المصدر نفسه – الخاتمة .

الظروف قد تساعفه على نيل مبتغاه وقد تعاكسه فتحبط مساعيه. فما اشبه الظروف هذه بالرياح التي تهب .. او لا تهب . على غير ارادة من السفن واصحابها . ان السفن لتعول عليها في السير الى موانيها . رخاء مرة . شديدة اخرى . وربما ذاقت منها الوبال .

خطرت للمتنبي كل هذه الاحتمالات . فصهرها دماغه الجبار حتى اذا تبلورت الفكرة لديه قذف بها حذاء في وجه سيف الدولة . في هذا اللفظ الموجز الذي يحمل لكل من جاء بعده خمار اللذة العقلية في استنباطها من جديد .

ومن هنا كان معنى البيت حكمة . يصلح لكل زمان ومكان . ولقد حاول شاعر آخر – قبل المتنبي – ان « ينظم » في هذا المعنى . فقصرت به خطاه دون هذه الاحاطة والشمول . ولا تثريب على امثاله . فما كل شاعر حكيم . قال هذا الشاعر في مورد الزهد .

ما كل ما يتمنى المرء يدركه — رب امرىء حتفه فيما تمناه

فكان نظره – كما ترى – مقصوراً على رقعة ضيقة . ومن زاوية لا تتسع للاحتمالات . فانه اذا كان فيما يتمنى المرء اشياء لا يدركها . ففيها ما يدرك .. ولو قليلاً . وان حتف المرء في امانيه لهو اقل من القليل . فانظر ما اكبر هذا الفراغ الذي بقي مظلما حول المعنى لضيق نظر ابي العتاهية في شئون الحياة .

ولقد اعاد المتنبي – في آخر عمره – النظر الى هذا المعنى من زاوية جديدة . بعد ان مارس اهوال الحياة فقال :

الامر لله ، رب مجتهد — ما خاب الا لانه جاهد

حكمة اخرى ترك الشاعر لكل قارىء تفسيرها على ضوء اختباراته .

من خطل النقد اذن ان نضع للمذهبين ميزاناً واحداً كما فعل الاقدمون .

لقد كان القدامى يفاضلون بين اللفظ والمعنى . ووراء قصدهم التمييز بين الحكمة والفن . ولكنهم كانوا دائماً يخطئون محجة الصواب عندما ينشدون هذه الابيات .

ولما قضينا من منى كل حاجة	ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهارى رحالنا	ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا	وسالت باعناق المطي الاباطح

فيقولون كما قال العسكري[8] « ليس تحت هذه الالفاظ كبير معنى .. » واي معنى تراهم كانوا ينشدون وراء هذه الابيات . اكثر مما هي حافلة به من براعة في الوصف الى افتنان في التصوير الى حرارة في الشعور ؟ انها لوحة تكاد تنبض بالحياة .

اما انهم كانوا يشعرون بما فيها من حلاوة وجرس . ولكن كان يفوتهم وراء ذلك كل شيء . واقله تلمس هذا الاحساس الناعم بالحياة الذي تفيض به القطعة فيضاً .

ان السبيل الوحيد لتقدير ابيات كهذه – لا شافع لها غير روحانيتها – وتذوقها هو دائماً القلب بالتجاوب الشعوري لا ما يشعه العقل بالتجرد الذهني . فانك لن تظفر من التغلغل وراء ظاهرها بطائل . انها قبل كل شيء – قطعة فنية . لا تستهدف غاية ابعد من الحياة .

ومثلها قول ذي الرمة :

عشية ما لي حيلة غير انني	بلقط الحصى والخط في الترب مولع
اخط وامحو الخط ثم اعيده	بكفي والغربان في الدار وقع

فهذا شاعر حط رحاله بمنزل الحبيبة وهو خاو موحش . « فجلس الى الارض منهكاً يائساً يخط ويمحو الخط بأصابع شرد عنها اللب . فأخذت تعبث بالرمال . وفي الغربان الواقعة بالدار ما يملأ الجو اسى ولوعة . وهل أصدق من هذا وصفاً ؟ وهل اقوى منه على ايحاء[9] » .

فأي « معنى » يريده القدامى من هذه الصورة الجميلة ؟ الا ان يعنوا بذلك ما كان يقع لهم تحت عنوان « الحكمة » فخلطوا بين قيم الاشياء . واساءوا التقدير .

***

ان الذي اوقع هؤلاء النقاد فيما وقعوا فيه من الخلط ماوجدوا ان الادب العربي يحفل به في آثار شعرائه من لآلي الحكم . وهذه

(٨) كتاب الصناعتين .

(٩) الكلمات للدكتور مندور نقلاً عن كتابه « في الميزان الجديد »

ظاهرة ملحوظة في الآداب السامية . ما كان للغة الضاد ان تشذ عنها . فكثيراً ما صافحت الحكمة فيها الفن على تربة واحدة . ورقصت معه على ادراج القافية يداً بيد .

واللغة العربية ساعدها على ذلك طبيعة بلادها وما فطر عليه اهلها تحت سماء البادية من قوة الجنان وفصاحة اللسان . ثم ماظاهر شعرهم من اوزان طيعة اطالوا فيها النفس . وقواف لا تشذ عن جيراتها يرصفونها رصفاً . ثم هذا المذهب الذي غلا فيه متأخروهم عندما جعلوا مقياس الحسن . . وحدة البيت . كأنما لا شأن لمعناه بما قبل وما بعد . حتى راق لادبائهم ان يبحثوا في كل قصيدة عن بيت القصيد .

هذا هو الذي جعل نقاد تلك العصور كابن قتيبة[10] وقدامة[11] والعسكري[12] يميل بهم « المعنى » كل الميل وما كانوا ينشدون بمدلوله غير الحكمة . . لا اكثر ولا اقل . فكانوا كمن يبحث عن شيء في غير منبته فيعمى عن كل شيء سواه .

وجاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس[13] .

***

والآن . هل حاجة ان ازيدك تعريفاً بهذا الشاعر الحكيم .

« . . شاعر العرب الذي تجسمت في شخصه صفات العرب وفي شعره مزايا الشعر العربي الاصيل[14] . . »

بلى الا مندوحة عن سوق كلمة في محلها هنا لازالة ما لعله علق بالاذهان من اشتباه منشؤه هذا التمييز الفاصل الذي حددنا به الحكمة والفن .

« انا وابو تمام حكيمان . والشاعر البحتري » .

ان منزلة المتنبي على رأس شعراء الحكمة لم ينازعه فيها احد . وانما الذي اضطرب فيه الادباء هو تقدير مكانته الادبية بين الملهمين . فهل هو شاعر فنان ؟ لقد شط بعضهم فأنكر عليه الشاعرية بالمرة[15] . وهذا غلو في المذهب يكذبه الشاهد والعيان فشخصية المتنبي العتيدة بارزة ملموسة في شعره يظاهرها هذا الاسلوب الجزل الذي يحمل طابعه الجبار حتى في مباذله .

انت الوحيد اذا ركبت طريقة ومن الرديف وقد ركبت غضنفرا

ومن الخير ان اعيدهنا ما قررته في بحث نشر لي منذ سنين[16] فقد قلت آنئذ .

« . . ان المتنبي يحدثنا عن مختلجات نفسه وسوانح افكاره في كل قصيدة من قصائده . ويقف في كل منها موقف من يستعرض تجارب العمر وصور الحياة . لا يرسل حكمة قرت في ذهنه معززة باسبابها . فكأنما ابياته نوافذ تطل على ما كان يخالج تلك الروح الثائرة من خواطر في شئون الحياة .

. . ان المتنبي كان لا يلفظ القول الا تعليقاً على حادث ولا ينظم الا لمناسبة تمسه من قريب . ولذلك يمكننا ان نتصفح سيرته كاملة في ديوانه . وهذا من خصائصه التي لا يشاركه فيها شاعر آخر . فلم تكن ابياته السائرة — التي طارت بعده كل مطار — الا توقيعات . خطها قلمه على هامش حياته واحداثها .

. . لقد كان لهذا الشاعر قدرة فائقة على استيعاب الحقائق المطبوعة في حينها . وكأنما كانت الفصحى[17] اذا تجلى له معنى حكيم على طرف كمه يتناولها متى شاء . ويختار منها الكلمة « الدالة » للغرض المقصود . فتسلس له القياد . وتحكمه في مادتها كيفما اراد وتحوك لمعانيه من الفاظها خير لبوس . » .

فجماع القول فيه ان المتنبي كان في شعره « حياً » . بعقله وشعوره . ولماذا لا اقولها . . انه احكم الشعراء على الاطلاق .

***

اما الحديث عن المتنبي كفنان . . والشعر — كفن — بوجه عام . فنرجئ الخوض فيه الى موضعه من كتابنا « الاساليب الشعرية » فستجد البحث في اسلوبه وفي اساليب غيره من الشعراء مفصلاً في تلك الفصول . حيث تناولنا بالنظر الدقيق جميع الاساليب الشعرية التي تزخر بها الدواوين — على تباينها — منذ الجاهلية الى اليوم . وحللناها تحليلاً ، على هدى وبصيرة . وهي كلها — على تباينها — لا تفصح الا عن احتفالنا بالحياة . فهذا هو شأن الحكمة . وذلك هو شأن الفن . وستبقى الحقيقة السامية ابداً تتجلى للانسان في مظهرها الازلي بين الحكمة والفن .

البحرين — ابراهيم العريض

---

(١٠) في « الشعر والشعراء » (١١) في « نقد الشعر » (١٢) في « الصناعتين »

(١٣) لقد رثى المتنبي احد معاصريه بهذه الابيات . واود الا تفوت القارىء دلالتها :

ما رأى الناس ثاني المتنبي   أي ثان يرى لبكر الزمان
كان من نفسه الكبيرة في جيـ   ـش ، وفي كبرياء ذي سلطان
هو في شعره نبي ، ولكن   ظهرت معجزاته في « المعاني »

(١٤) راجع « ترجمة شعر المتنبي . . الى الانكليزية » — تعليق توفيق صائغ (المكشوف عدد ٤٦٢)

(١٥) محمد روحي فيصل في مقاله « هل كان المتنبي شاعراً » (العروبة ١٩٣٧)

(١٦) راجع « الامثال في الشعر العربي » (العروبة ١٩٣٦)

(١٧) وراجع ايضاً عدد المقتطف الخاص عن المتنبي — بقلم محمود محمد شاكر (المقتطف ١٩٣٦)

عدوان

لانطون تشيخوف

ترجمة سهيل ايوب

●

قصة

حوالي الساعة العاشرة من احدي امسيات شهر ايلول المظلمة ، توفي اندريه الابن الوحيد لكيريلوف طبيب مدينة زمستفو والبالغ من العمر ست سنوات بمرض الدفتريا، وحين جثت زوجة الطبيب على ركبتيها امام سرير الطفل المائت وقد تملكتهـا اول نوبة من نوبات اليأس ، سمع في البهو الجرس يقرع بجدة .

كان جميع الخدم قد ابعدوا عن المنزل في نفس الصباح الذي دخلت فيه الدفتريا اليه . فذهب كيريلوف بنفسه الى الباب دون ان يبدل ثيابه، وهو في قميصه القصير الاكمام وصدريته غير المبكلة، وبدون ان يمسح وجهه او يديه النديتين اللتين احرقهما حـامض الفحم . وكان البهو مظلماً ، وكنت لا تستطيع أن تميز الشخص الذي دخل بشيء سوى قامته المتوسطة وربطة عنقه البيضاء ووجهه الكبير الذي علاه الشحوب بصورة غير طبيعية ، فلقد كان شاحباً الى درجة انه بدا كما لو كان ظهوره وحده قد جعـل البهو اكثر بريقاً . وسأل الزائر بجدة :

— « هل الطبيب موجود ؟» فأجاب كيريلوف :

— « انني في منزلي ، فماذا تريد ؟ » فغمر السرور نفس الزائر واخذ يفتش في الظلام عن يد الطبيب :

— « اذن فأنت هـو الطبيب ؟ اني لسعيد جداً ! » فتنـاول يد الطبيب وضغط عليها بشدة وتابع يقول :

— « انني جد .. جد مسرور ! لقـد تعارفنا سابقاً . . انني ابو جين .. الذي تشرف بمقابلتك هذا الصيف عند السيد جنوشيف . اني لسعيد اذ وجدتك في المنزل . . استحلفك بالله لا تقل انك لن تأتي معي مباشرة . ان زوجتي في خطر من مرض الم بها . . ان العربة معي . . ».

وكان واضحاً من حركات الزائر وصوته انه في حالة اضطراب عنيف . تماماً كما لو كان خائفاً من نار تقترب منه ، او من كلب ثائر يعترض طريقه . وكان يخفف من تنفسه المتسارع ويتحدث بسرعة مرتجف الصوت . وكان في كلامه رنة اخلاص حقيقي او خشية الاطفال . ومثل كل انسان مذعور ومرتجف الاوصال، كان يتكلم بجمل قصيرة عنيفة ويتمتم بكلمات كثيرة لا معنى لها ولا ضرورة مطلقاً . وتابع يقول :

— لكم كنت اخشى ان لا اجـدك في المنزل . فبحق الله ارتد ثيابك ودعنا نذهب . لقد حدث ذلك كما يأتي : لقد جاءني بابشينسكي — الكسندر سيميونوفيتش — انك تعرفه . وتحادثنا . ثم جلسنا لنشرب الشاي . وفجأة صرخت امرأتي وهي تضغط بيديها على قلبها . ثم سقطت في مقعدها . ولقد حملناها الى سريرهـا . ودلكت لها جبهتها بالطيب ورششتها بالمـاء . . كانت متمددة كالجثة .. اني اخـاف لئـلا يضعف قلبها . دعنا نذهب . لقد توفي والدها ايضاً بسكتة قلبية .

واستمع كيريلوف اليه بصمت وكأنه لا يفهم اللغة الروسية.

وحين ذكر أبوجين بابشينسكي وأبا زوجته مرة ثانية ، ابتدأ من جديد يبحث عن يد الطبيب في الظلام . فهز هذا رأسه وقال وهو يلفظ كل كلمة ببطء وتمهل شديدين :

— «اعذرني فأنا لا استطيع الذهاب. من خمس دقائق مضت. توفي ولدي» . فتمتم ابوجين مرتداً الى الوراء :

— « اصحيح هذا ؟ يا الهي . يا له من وقت غير مناسب للمجيء ! يا له من يوم مشؤوم . للغاية ! يا للاتفاق . فكأنما كان مقصوداً اليه » .

وامسك ابوجين قبضة الباب واحنى رأسه يتأمل . كان من دون ريب في حالة تردد لا يعلم اذا كان يجب ان يذهب او يسأل الطبيب الذهاب معه مرة ثانية . ثم قال بلهفة ممسكاً الطبيب من مرفقه :

— « اصغ ، اني افهم حالتك تماماً ! والله يعلم مبلغ خجلي لاني احاول جلب اهتمامك في مثل هذه اللحظة. ولكن ما الذي استطيع فعله ؟ فكر انت ايضاً . الى من استطيع ان اذهب ؟ فليس هناك من طبيب هاهنا الا انت فمن اجل السماء تعال . اني لا اطلب ذلك من اجلي ، فلست انا هو المريض ! » .

وخيم السكون وادار كيريلوف ظهره لابوجين ووقف جامداً مدة من الزمن ثم خرج ببطء من الصالة الى غرفة الانتظار ، وكان يستطيع المرء اذا ما رأى حركاته المترددة الميكانيكية ، والعناية التي بذلها وهو يرتب مظلة المصباح المطفأ في غرفة الجلوس ، ويراجع كتاباً ضخماً كان ملقى على المائدة ، ان يحكم انه كان في تلك اللحظة خالياً من كل غاية او رغبة وانه لم يكن يفكر في اي امر كان وأنه من المحتمل ان يكون قد نسي ان في الصالة رجلاً غريباً ينتظر . وزاد ظلام وهدوء الغرفة — فيما يبدو — في اختلاط عقله . وحين دخل من غرفة الانتظار الى مكتبه رفع رجله اليمنى اكثر مما يحتاج اليه وتحسس بيديه دفتي الباب ، وعلا وجهه حينئذ بعض الحيرة كما لو كان قد دخل منزلا غريباً مصادفة او سكر لاول مرة في حياته . ثم استسلم الآن في حيرة الى احساس جديد ودخل شريط من النور فوقع على رفوف الكتب القائمة على احد جدران المكتب . وكان هذا النور الممتزج بالرائحة الخانقة من حامض الفحم والاثير يأتي من الباب المنفرج الذي يصل بين المكتب وغرفة النوم . وغرق الطبيب في مقعد قرب الطاولة وتطلع ببلادة مدة من الزمن الى الكتب المنارة ، ثم قام ودخل غرفة النوم.

وكان هدوء خانق يخيم هنا في غرفة النوم . فجميع الاشياء من اضخمها الى زهيدها كانت تتحدث بفصاحة عن العاصفة التي مرت وعن السآمة والفتور بينما تأخذ راحتها الآن . وكان القنديل القائم بين جموع الزجاجات المغلقة والعلب وآنية الادوية على المائدة الصغيرة ، والمصباح الكبير القائم فوق الجرارات ينيران الغرفة بضوء شديد . وكان الصغير ممدداً على السرير قريباً من النافذة وعيناه مفتوحتان ، وعلى وجهه نظرة دهشة . ولم يكن يتحرك بل كان يبدو ان عينيه المفتوحتين تزدادان ظلمة شيئاً فشيئاً كل ثانية وتغوصان في جمجمته. وكانت الام جاثية على ركبتيها بالقرب من السرير وقد رمت يديها فوق جسد ولدها وأخفت وجهها بين طيات ادوات السرير ، وهي مثل الصبي عديمة الحركة . ولكن كم من حركات الحياة كانت تنبض في ثنايا جسمها وفي يديها ! وكانت ملتصقة بالسرير بكل جسدها بحماس وتلهف شديدين كما لو كانت تخشى تعكير الوضع الهادئ والمريح الذي وجدته اخيراً لجسمها المنهوك . وكان بعض الاغطية والثياب والكؤوس ملقاة على الارض ، وبعض الفراشي وقطع الصابون مبعثرة في كل مكان . وكان هناك ايضاً زجاجة من ماء الزهر ، ثم الجو الخانق والثقيل نفسه . كان كل شيء قد مات ، ومثل الموت ارتاح في هدوء عظيم .

ووقف الطبيب بالقرب من امرأته ، وقد وضع يديه في جيوب سراويله وأمال رأسه الى جهة واحدة وراح يتطلع بثبات الى ولده وكان يبدو على وجهه عدم المبالاة ، وكانت القطرات المتلألئة على لحيته ، هي التي تعلن وحدها انه قد بكى مؤخراً فقط .

وكان الفزع الهائل الذي نحسه عندما نتكلم عن الموت غائباً عن غرفة النوم ، وفي السكوت الشامل ووضع الام ، وفي عدم الاهتمام الذي يبديه وجه الطبيب شيء خالب يؤثر في النفس. ذلك هو الجمال الخادع المراوغ الذي يملكه الحزن الانساني والذي يتطلب من الانسان زمناً طويلاً كي يفهمه ويصفه ، والذي يبدو ان الموسيقى هي وحدها القادرة على التعبير عنه . وكان المرء يحس الجمال ايضاً في الهدوء القاسي . اما كيريلوف وزوجته فقد اعتصما بالصمت ولم يبكيا ، فكأن ذلك اعترافه منهما بكل شاعرية حالهما . لقد ذهب مع هذا الطفل حقهما في الاولاد ، ويا للاسف ! دوماً والى الابد ، مثلما مضى فصل شبابهما مرة . فالطبيب اليوم في الرابعة والاربعين من عمره وقد شاب وراح يبدو كشيخ مسن واما زوجته المريضة الشاحبة اللون ففي الخامسة والثلاثين . فاندريه اذن ليس ابنها الوحيد فقط ، بل هو الاخير ايضاً .

وكانت طبيعة الطبيب ، على خلاف زوجته ، من ذلك النوع الذي يحس ضرورة الحركة عندما تتألم نفوسهم . فبعد ان وقف بالقرب من زوجته حوالي خمس دقائق ، غـادر غرفة النوم رافعاً رجله اليمنى عالياً ، الى غرفة صغيرة نصف ملآنة بأريكة كبيرة واسعة . ومن هناك دخل الى المطبخ . وبعد ان تنقل بين موقـد النار وسرير الطباخة ، اجتاز باباً صغيراً وقفل الى البهو .

وهناك رأى مرة ثانية ربطة العنق البيضاء والوجه الشاحب .

وتفوه أبوجين وقد امسك بقبضة الباب :

— « واخيراً دعنا نذهب ارجوك » . فارتجف الطبيب وتطلع اليه فتذكر كل شيء :

— « استمع ، لقد سبق فأخبرتك انني لا استطيع الذهاب . يا للفكرة الغريبة ! » فقال أبو جين في رنة توسل وقد وضع يده على ربطة عنقه :

— « لقد جبلت من لحم ودم انا الآخر ايها الطبيب . وانا افهم حالتك تماماً . فأنا اشعر نفس شعورك . ولكنني لا اطلب ذلك من اجلي . ان امرأتي تموت . فلو سمعت صراخهـا ورأيت وجهها لتغيرت الحاحي . يا الهي — وقـد قلت في نفسي انك ذهبت لترتدي ثيابك . ان الوقت ثمين يا دكتور دعنا نذهب ، انني اتوسل اليك » فأجاب كيريلوف بعد صمت قصير :

— « اني لا استطيع الذهاب » . ودخل الى غرفة الاستقبال . فتبعه ابو جين وامسك به من مرفقه وتابع قوله كالمستعطين .

— « انك حزين . انني افهم ذلك . ولكنني لم اطلبـك كي تعالج ألماً خفيفاً في احد الاضراس او لكي تكتب وصفة طبية — بل لتنقذ حياة بشرية . ان هذه لاثمن من اي حزن شخصي . اني اطلب منك الشجاعة ، فأسألك ان تقوم بعمل عظيم باسم الانسانية » فأجاب كيريلوف بجدة :

— « ان الانسانية تسد كلا الطريقين . فباسم الانسانية نفسها اسألك ان لا تأخذني بعيداً . يا إلهي ، يا لها من فكرة غريبة ! اني لا استطيع حتى الوقوف على قدمي الا بصعوبة ، وأنت تخيفني بالانسانية . اني لا اصلح لاي شيء الآن . اني لا اريد الذهاب في سبيل اي امر كان . مع من استطيع ان اترك امرأتي ؟ لا ، لا . » وجمع كيريلوف يديه وتابع بعد ان ارتد الى الوراء :

— « و .. لا تسألني . انني آسف . ان القـانون يضطرني على الذهاب في مادته الثالثة عشرة ، ولك الحق ان تسحبني من رقبتي . حسناً ، جرني ولكن .. ولكنني لا اصلح لشيء .. انني غير قادر حتى على الكلام . اعذرني . » فقال أبو جين ممسكاً الطبيب من مرفقه مرة ثانية :

— « انك غير منصف ابداً اذ تكلمني بهذه اللهجة ايهـا الطبيب . فلتذهب المادة الثالثة عشرة الى الشيطان ! انه لا يحق لي ان اغصبك رغماً عن ارادتك . اذا اردت ان تجيء فتعال ، واذا رفضت فليكن الله معك حينئذ ، ولكنني لا اتوجه الى ارادتك بل الى عواطفك . ان هناك امرأة شابة تموت . وقد قلت ان طفلك توفي الآن . فمن غيرك يستطيع ان يفهم خوفي ؟ » .

وارتجف صوت ابو جين بسبب اضطرابه الشديد . ان ارتعاشه ورنة صوته لاكثر اقناعاً من كلمـاته . وكان ابو جين مخلصاً ، ولكن ما يجدر ملاحظته ان كلا من الجمل التي استعملهـا كانت تصدر عنه مملة ولا مروءة فيها ، جميلة في غير موضعها ، وكأنهـا اهانة موجهة الى جو منزل الطبيب والى المرأة التي تموت . ولقد احس بذلك هو نفسه . واذ خاف لئلا ييأس فهمه راح يبذل اقصى الجهد حتى يجعل صوته رقيقاً وحنوناً بحيث يقنع الطبيب بصدق لهجته على الاقل ، ان لم يكن بكلماته . ولكن القاعدة ان الكلمات مهما كانت عميقة وجميلة تؤثر فقط في من لا يتعلق الامر به . فهي دائماً لا تستطيع ان تكفي التعيسين او الهانئين لان اقوى تعبير عن التعاسة او السعادة هو في الغالب الصمت . ان المحبـين ليفهمون بعضهم بعضاً بصورة أفضل عندما يعتصمون بالصمت . كمـا ان خطاباً حاراً شديد العاطفة يلقى الى جـانب القبر يؤثر في الغرباء فقط ، بينما يبدو بارداً وتافهاً لارملة الراحل واولادها .

ووقف كيريلوف ثابتاً وفي صمت . ثم سأل بشدة عندمـا تلفظ ابو جين ببعض الكلمات الاخرى عن الواجب الكبير الذي يترتب على عاتق الطبيب ، وعن التضحية الذاتية :

— « هل المكان بعيد ؟ »

— « ثلاثة عشر او اربعة عشر فرسخاً . ان الخيل قوية يا دكتور . اقسم لك بشرفي اني سوف آخذك الى هناك واعود بك في ساعة واحدة . ساعة واحدة فقط » . وكان للكلمات الاخيرة وقع اشد من وقع جميع الاشارات الانسانية او الى واجب الطبيب وفكر كيريلوف لحظة ثم قال وهو يتنهد .

— « حسناً ، دعنا نذهب ! » .

ثم دخل بسرعة بخطوات مضطربة الى غرفة مطالعته ، وعاد

سريعاً وعليه معطف طويل . فسر ابو جين وابتدأ يرقص حواليه بفرح يساعده في ارتداء معطفه ، ثم صحبه في الخروج من المنزل.

وكان الظلام يخيم خـارجاً ، ولكن النور كان اشد منه في البهو . وهنا في الظلام بدا وجه الطبيب الطويل الشكل بوضوح ، وكذلك لحيته الطويلة الضيقة وانفه الاقنى . والى جانب الوجه الشاحب، كان يمكن رؤية وجه ابو جين الكبير وقبعته الصغيرة التي تغطي بصعوبة قمة رأسه . وظهرت ربطة العنق البيضـاء من الامام فقط ، اما من الخلف فقد اختبأت تحت شعره الكثيف . وتمم ابو جين وهو يساعد الطبيب على الركوب .

— « صدقني ، انني قادر على تقدير شهامتك . انك تستطيع ان تنطلق الآن يا « لوك »انك تستطيع ان تسرع بقدر امكانك ايها الرجل العزيز ، فهيا !» .

وساق السائق بسرعة . فظهر اول ما ظهر صف من البنايات المكشوفة التي تقوم على جانب ساحة المستشفى . والظلام يخيم على كل مكان ، اللهم الا ضوء لامع كان ينطلق خلال احدى النوافذ في نهاية الساحة وينصبّ على جدار الحديقة . وثلاث نوافذ من جناح طبقة الاشراف المستقل تبدو اكثر شحوباً من الهواء . ثم دخلت العربة في ظلام مطبق حيث كنت تستطيع ان تشم رائحة الاعشاش الندية ، وتسمع همس الاشجار . وايقظت ضجة العجلات الغربان الذين بـدأوا يحركون اوراق الشجر ويطلقون صراخاً حزيناً مدهوشاً ، كما لو كانوا يعرفون ان ابن الطبيب قد مات وان زوجة ابو جين تعاني المرض. ثم ظهرت مجموعة من الشجيرات ، واخيراً لمعت بركة ماء ظللتها اشباح كبيرة سوداء . واستمرت العربة تجري على طول طريق سهل ، بينما أخـذ صراخ الغربان يضعف تدريجياً فلا يسمع الا بصعوبة بعيداً في الخلف . ثم شمل السكون كل شيء .

وبقي كيريلوف وأبو جين صامتين طوال الطريق تقريباً ، خلا مرة واحدة تنهد فيها ابو جين بعمق ثم تمتم :

— « انه مرض هائل . ان المرء لا يحب اقرباءه ابداً بقدر ما يحبهم عندما يكونون عرضة لان يفقدهم ».

وحين كانت العربة تمر بهدوء عبر النهر انتفض كيريلوف فجأة كما لو ان المياه المتدفقة قد اخافته . وابتدأ يتحرك ضجراً ثم قال بكدر :

— « دعني اذهب . وسوف اجيئك فيما بعد . انني اريد ان ارسل الخادم الى امرأتي فحسب . انها وحيدة تماماً ».

وكان ابو جين صامتاً . في حين كانت العربة تترجح وتتمايل كلما مرت فوق احد احجار الطريق . ثم قطعت الفسحة الرملية وتابعت مسيرها . فابتدأ كيريلوف يتحرك ويتطلع حوله مغموماً . والى الخلف كان الطريق يرى في الضوء الخفيف الذي تنشره اشعة الكواكب وشجر الصفصاف الذي يغطي الارض الرملية يختفي في الظلام . وعلى الجهة اليمنى كان السهل يمتد هادئاً ولا حدود له كالسماء . وكانت تلمع بين كل مسافة واخرى بعض الانوار الخافتة الآتية دون شك من اكواخ القرية القريبة . وفي الجهة اليسرى على موازاة الطريق تمتد هضبة صغيرة كستها الشجيرات التي لم يكتمل نموها بعد . بينما وقف على الهضبة نصف قمر ضخم دون حراك ، احمر اللون ، حجبه الضباب قليلا ، واحاطت به من كل جانب السحب الرقيقة التي تبدو وكأنها تنغرس فيه وتحرسه خوفاً من ان يختفي .

وكان المرء يحس في الطبيعة كلها شيئاً مريضاً لا رجاء فيه . وكانت الارض تخور بذكرى الربيع والصيف ، وتنتظر بجمود مجيء الشتاء الذي لا بد منه . مثلها مثـل امرأة ساقطة قبعت وحيدة في غرفة مظلمة تجرب ان لا تفكر في ماضيها . واينما كان يقع نظر الانسان ، كانت الطبيعة تظهر كل شيء مثـل هاويات مظلمة باردة لا قرار لها ، حيث لم يستطع كيريلوف ولا ابو جين . ولا نصف القمر الاحمر الافلات منها .

وكلما كانت العربة تقترب من هدفها ، كلما يزداد اضطراب ابو جين . فابتدأ يتنحنح ثم قفز واقفاً وأخذ يتطلع من فوق كتفي السائق الى الامام . وعندما وقفت العربة اخيراً عند اسفل الدرج الكبير الذي غطته سجادة رائعة ، تطلـع ابو جين الى النوافذ المضاءة في الطابق الاول . وكان المرء يستطيع سماع تنفسه يرتجف وقال وهو يدخل الى البهو مـع الطبيب محركاً يديه بحيرة في اضطرابه :

— « اذا حدث شيء . . انني لن استطيع ان اتحمل ذلك . ولكنني لا استطيع ان اسمع اية ضجة » وتابع بعـد ان اصغى الى السكون :

— «ان ذلك يعني ان كل شيء على ما يرام بقدر الامكان».

وكان المنزل يبدو لشدة الاضاءة وكأنه غارق في النوم . وقد صار الآن في امكان الطبيب وابو جين اللذين بقيـا في ظلمة كل هذه المدة ، ان يتفحص كل منهما الآخر . كان الطبيب طويلاً وقد مال جذعه الى الامام قليلاً ، مضطرب اللباس كما ان وجهه كان

مسطحاً . وكان في شفتيه السميكتين كشفتي العبيد ، وفي انفه الاقنى ، وفي نظرته الذابلة اللامبالية شيء قاس بصورة غير مرضية . شيء فظ وصارم في آن واحد . وكان شعره المجعد وصدغاه الفائران والشيب المبكر في لحيته الطويلة الخفيفة التي كانت تظهر ذقنه اللامعة من خلالها ، وفي لونه الشاحب الاسمر ، وفي تصرفاته الخرقاء المرتبكة ، كان في صلابة كل هذا ما يوعز الى الفكر بأوقات رديئة قضيت ، وبنصيب غير عادل من ضجر الحياة والناس وكنت اذا ما نظرت الى وجه الرجل القاسي يصعب عليك الاعتقاد بان له زوجة وانه يستطيع ان يبكي على ولده . ولكن ابو جين كان يوحي بشيء يختلف عن هذا كله . فقد كان قوي البنية مرتفع القامة مصفف الشعر ذا رأس كبير و« سالفين » عريضين ولكنهما لطيفان . وكان يرتدي ثياباً ثمينة فصلت على الزي الاخير ومذ كان في العربة كنت تشعر في معطفه المحكم الاشتمال وفي شعره الكثيف كعرف الديك شيئاً نبيلاً . وكان يسير ورأسه مرفوع وصدره بارز الى الامام ، يتكلم بلهجة ناعمة ، بينما كان يبدي في طريقته بتحريك ربطة عنقه وترتيب شعره ، رشاقة لطيفة اقرب ما تكون الى الانوثة . وحتى شحوبه وفزعه الطفلي عندما رنا ينظر الى فوق وهو يخلع معطفه لم يعكرا شيئاً من مظهره الخارجي او ينقصا من الارتياح والنضارة والفتوة التي كانت تشع من وجهه . وقال وهو يصعد السلم :

— « ليس من احد هنا ، اني لا استطيع ان اسمع شيئاً . ليس من حركة . فليكن خيراً يا الهي ! » .

ورافق الطبيب خلال البهو حتى غرفة استقبال واسعة ، حيث كان يرى بيانو اسود ضخم ، وشمعدان غطي بغطاء ابيض . ومن هناك مر الاثنان الى غرفة انتظار صغيرة وجميلة ومريحة جداً تملأها ظلمة نصفية لطيفة ووردية . فقال ابو جين :

— « ارجوك ، اجلس لحظة هنا يا دكتور ، اني . . اني لن اغيب سوى ثانية واحدة . اني اريد ان القي نظرة واخبرهم » .

وبقي كيريلوف وحيداً . ومن المحتم ان رخاء غرفة الاستقبال ولطافة الظلمة الخفيفة ، لا بل ان نفس وجوده في منزل غريب لم يألفه ، كل هذه الامور لم تحرك شعوره ! واقتعد كرسياً ثم اخذ يتطلع الى يديه المحترقتين بحامض الفحم . وهو لم يلق سوى نظرة واحدة الى نور المصباح الاحمر اللامع ، والى خزانة الآلات الموسيقية التي في زاوية الغرفة . وحين القى نظرة جانبية على اطراف الغرفة حيث كانت الساعة تدق ، شاهد ذئباً محنطاً تشابه متانته ورضاه ابو جين نفسه .

وكان السكون مخيماً . وفي بعض الاماكن البعيدة في الغرف المجاورة صرخ احدهم بصوت عال : « آه ! » ثم تحطم باب زجاجي من المحتمل انه كان باب خزانة ، ومن ثم خيم السكون مرة ثانية . وبعد مرور خمس دقائق ، كف كيريلوف عن التطلع الى يديه ورفع ناظريه الى الباب الذي توارى ابو جين وراءه .

وكان ابو جين واقفاً على العتبة ، ولكن يختلف عن الانسان الذي كانه قبل ذهابه ، وقد تركته علامات الاعتداد بالذات والرشاقة الخبيثة ، بينما كان وجهه ويداه ووضع جسده متقلصة جميعها تعبر عن عذاب عميق ناشىء عن رعب ، او عن ألم جسدي موجع . وكان كل من انفه وشفتيه وشاربيه وسائر ملامحه تتحرك كما لو كانت تحاول ان تفلت بنفسها في وجهه . ولكن عينيه بدتا كما لو كانتا تضحكان بتأثير الالم .

وخطا ابو جين خطوة ثقيلة وطويلة الى وسط الغرفة وانحنى وتأوه وهز قبضتيه . ثم صاح مشدداً اللفظ على المقطع « دع » :

— « خدعت ! لقد خدعتني ! لقد ذهبت ! انها ما سقطت مريضة وارسلتني لاجيء بالطبيب ، الا كي تفر مع ذلك الاحمق بابشينسكي . يا الهي ! » .

وخطا ابو جين — مرة ثانية — بتثاقل نحو الطبيب ، وقد رفع قبضتيه الرقيقتين البيضاوين امام وجهه ، ثم تابع وهو ينوح ويحرك يديه اثناء بكائه :

— « لقد ذهبت ! لقد خدعتني ! ولكن لم هذه الاكذوبة ؟ يا الهي ، يا الهي ! لم هذه الدناءة والخدعة الدنسة ، هذه اللعبة الشيطانية الافعوانية ؟ ماذا عملت لها ؟ لقد ذهبت » .

وسالت الدموع من عينيه ، ودار على عقبيه وابتدأ يذرع بخطاه غرفة الانتظار . وكان يشبه في سترته القصيرة وسرواله العصري الضيق ، الذي بدت فيه رجلاه رقيقتين جداً بالنسبة لجسده ، الاسد بصورة غريبة جداً . واشتعل حب الاطلاع في وجه الطبيب الجامد . فنهض ورمق ابو جين :

— « حسناً ، اين هي المريضة ؟ » . فصاح ابو جين وهو يضحك ويبكي ويتابع هز قبضتيه :

— « المريضة ، المريضة ! انها لم تكن مريضة بل ملعونة ، لئيمة وجبانة . ان ابليس نفسه لا يستطيع ان يبتدع خدعة اكثر قذارة من هذه . وهكذا ارسلتني لتستطيع الفرار مع أحمق وجلف قاس ! يا الهي ، لقد كان من الافضل ان تموت . اني لا اريد ان

أتحمل ذلك اني لن استطيع ان اتحمل ذلك ».

ووقف الطبيب متصلباً. وابتدأت عيناه تطرفان وقد امتلأتا بالدموع، وابتدأت لحيته الرقيقة تتحرك مع فكه يمنة ويسرة. ثم سأل وهو يتطلع حوله مستغرباً :

— « ما معنى هذا ؟ لقد توفي ولدي. وزوجتي تتعذب وحدها في البيت كله.. انني لا استطيع الوقوف على قدمي الا بصعوبة، وكذلك لم أنم طوال ثلاثة ايام وها انا ادعى للتمثيل في مهزلة، مبتذلة، ولامثل دور المسرح فيها ! اني لا، اني لا افهم ذلك ! ».

وفتح ابو جين احدى قبضتيه والقى على الارض بوريقة مجعدة ثم داسها، كما لو كانت حشرة يريد ان يسحقها. وقال من بين اسنانه المطبقة ملوحاً باحدى قبضتيه حول رأسه.

— « انا لم انتبه.. لم افهم. انا لم الاحظ كيف كان يأتي لزيارتنا كل يوم. اني لم الاحظ انه قدم في عربة هذا اليوم ! فلم كانت العربة ؟ اني لم الاحظ ! انا البريء ! ». وتمتم الطبيب بقوله :

— « اني لم.. اني لا افهم. ماذا يعني كل هذا ؟ انه الهزء بانسان، والسخرية من انسان متألم ! ان هذا لمستحيل. اني لم أره في كل حياتي الماضية ! ».

وهز الطبيب، بارتباك انسان مشدوه قد ابتدأ يفهم ان احدهم قد اهانه بقساوة، كتفيه وحرك يديه، وبدون ان يعرف ماذا يقول او يفعل، سقط منهوك القوى في مقعد :

— « حسناً، انها لم تعد تحبني ابداً. لقد احبت رجلاً آخر ! حسناً جداً. ولكن لمَ الخداع، لمَ هذه الخيانة القذرة، لم ؟ اي جرم ارتكبته بحقك ؟ » ثم قال مقترباً من كيريلوف :

— « اصغ الي ايها الطبيب. لقد كنت الشاهد المكره على مصيبتي. وانا لن اخفي الحقيقة عنك. اني اقسم انني احببت هذه المرأة. لقد احببتها حب العبادة مثل العبد. لقد ضحيت بكل شيء لاجلها. لقد قاطعت اسرتي وتركت وظيفتي وموسيقاي. لقد غفرت لها اشياء ما كنت اغفرها لامي واختي. اني لم اوجه لها مرة نظرة غضبي، ولم ارفع امامها اي اعتراض. فلمَ هذه الاكذوبة اذن ؟ اني لا اطلب حباً. ولكن لمَ هذه الخدعة الشنيعة ؟ فاذا توقفت عن اضمار الحب فقل ذلك بشرف، وعلى الاخص اذا كنت تعرف ما هو شعوري في هذا الموضوع ».

وروى أبو جين، والدموع في عينيه والرجفة تهز كل عظامه قصته كلها للطبيب. فتكلم بشغف ضاغطاً على قلبه بكلتا يديه وكشف له عن جميع اسرار الاسرة بدون ادنى تردد، آه لو كان سعيداً لكون هذه الاسرار تنتزع من قلبه. انه لا بد سينال بعض الراحة اذا استطاع ان يتكلم هكذا ساعة او ساعتين، ويروي كل ما في نفسه.

ومن يستطيع ان يقول ان الطبيب لو اصغى اليه وبادله شعور الصداقة، اذن لفهم كآبته دون احتجاج - يحدث غالباً - ودون اللجوء الى حماقات لا طائل منها ! انما حدث خلاف ذلك. فبينما كان ابو جين يتكلم، كانت ملامح الطبيب المتعب تتغير بوضوح وكانت اللامبالاة والذهول الباديان في وجهه، تفسحان الطريق تدريجياً لعلاقات غضب وسخط وغيظ مرة. وكانت ملامحه تزداد قساوة وصلابة وسخطاً. ثم انتفض فجأة، حين وضع ابو جين امام ناظريه رسم زوجته الشابة بوجهها الجميل، رغماً عن كونه جافاً، وجه لا تعبير له شبيه بوجه راهبة، سائلاً اياه هل من الممكن ان ينظر الى هذا الوجه ويخمن انه يستطيع ان يكذب، وجحظت عيناه، وقال وهو يتلفظ بكل كلمة على حدة بفظاظة :

— « لم تخبرني بهذا كله ؟ اني لا اريد ان اسمع اني لا اريد ذلك ». وصاح وهو يضرب الطاولة بقبضته :

— « اني لا اريد اسرارك العامة المبتذلة — فلتذهب اسرارك الى الجحيم. لا يحق لك ان تخبرني بهذه التوافه. او هل تفكر انني لم اتحمل ما يكفي من الاهانة ! ام هل تظن انني خادم يمكنك ان توجه اليه الاهانة الاخيرة ؟ نعم ؟ ».

وابتعد ابو جين عن كيريلوف وهو يرمقه دهشاً. وتابع الطبيب هازاً رأسه :

— « لمَ أتيت بي الى هنا ؟ لقد تزوجت وانت كاسف البال وغضبت وانت كاسف البال، وألفت رواية محزنة - ولكن لم تحشرني فيها ؟ وماذا افعل بروايتك هذه ؟ دعني وحدي ! تابع عظاتك النبيلة، استعرض آرائك الانسانية والعب — » . والقى الطبيب نظرة حالمة الى خزانة الآلات الموسيقية — « بمزمارك ونايك وحنط نفسك ايضاً اذا اردت. ولكن لا تتجرأ على الهزء بانسان حقيقي، اذا كنت لا تستطيع ان تحترمه، فعلى الاقل تستطيع ان تؤخر عنه التفاتك اليه ورعايتك له » فسأل ابو جين خجلاً :

— « ماذا يعني كل هذا ؟ ».

— « هذا يعني ان السخرية بالانسان لامر دنيء وقبيح. وانتم تعتبرون الاطباء، وكل الناس الذين يعملون بجد ولا يجدون وقتاً ينغمسون فيه في العهر والفجور عبيداً لكم تستطيعون ان تسخروا

منهم كما تشاؤون . حسناً ، ولكن احداً لم يعطك الحق تجعل انساناً يتألم ، عبداً لك » .

فسأل ابو جين وقد ابتدأ وجهه يتقلص ولكن بغضب بيّن هذه المرة :

— « كيف تتجاسر على مثل هذا الكلام ؟» فصاح الطبيب وقد ضرب الطاولة بقبضته مرة اخرى :

— « كيف تجرؤ انت على أن تجلبني حتى هذا المكان عندما تعرف انني في ألم ؟ ومن اعطاك الحق لتهزأ من حزن انسان آخر ؟» فصاح ابو جين :

— « انك مجنون ، انك غير كريم . اني أنا الآخر شقي جداً و . . و» فابتسم الطبيب ابتسامة هازئة وهو يقول :

— « شقي ، لا تلمس هذه الكلمة فليس لها ادنى علاقة بك ان المقامرين الذين لا يكسبون شيئاً يسمون انفسهم اشقياء ايضاً وان ديكاً مخصياً يشقى بكل شحمه الفائض الذي يضايقه . يا لك من انسان لا نفع منه ! » فصاح ابو جين بصوت حاد .

— « يا سيدي انك تنسى نفسك ،ان اناساً يقتلون لتفوههم بمثل هذه الكلمات . هل تفهم ؟ » .

وادخل ابو جين يده في جيب سترته الجانبي واخرج محفظته ، ثم اخرج منها ورقتين ماليتين والقى بهما على الطاولة ، وقال وخياشيمه ترتجف :

— « هذه اتعابك : لقد نلت اجرتك » فأجاب كيريلوف وقد رمى بالوريقات من الطاولة الى الارض :

— « لا تجسر على عرض دراهم علي انك لا تمحو اهانة بواسطة الفضة » .

وكان ابو جين والطبيب واقفين وجهاً لوجه يكيل كل منهما للآخر اهانات لا يستحقانها . انهما لم ينطقا طوال حياتهما ،حتى ولا في ساعات الجنون بكل الامور المجردة عن العدل والقاسية السخيفة . وقد كانت تبدو — بكل قسوة — عند كليهما انانية الانسان التعيس . ان سائر الناس الاشقياء انانيون وشريرون وغير عادلين، وأقل قدرة على فهم بعضهم بعضاً من المجانين . ان الشقاء لا يوحد الناس بل انه يفرق بينهم ، وحيث يتخيل انسان ان الاشتراك في الحزن يمكن ان يوحد بين الناس ، يجد من الظلم والوحشية اكثر مما يجد منها بين الراضين نسبياً .

وصاح الطبيب منقطع الانفاس :

— « ارسلني الى منزلي ارجوك » . فقرع ابو جين الجرس بحدة . فلم يظهر احد . فقرعه مرة ثانية ، وحينئذ رمى الجرس بغضب الى الارض . فوقع على السجادة ببطء . وأحدث صوتاً محزناً شبيهاً بأنين النزع الاخير . ثم ظهر الخادم . فقفز اليه ابو جين وقد ضم قبضتيه :

— « اين كنت مختفياً ، لعنك الله ؟ اين كنت في هذه اللحظة اذهب واخبرهم ان يرسلوا العربة لهذا الجنتلمان ، وهيء لي العربة الصغيرة » ثم صاح بعد ان استعد الخادم للذهاب :

— « انتظر ، يجب الا يبقى خائن واحد منكم غداً . انصرفوا جميعاً . سوف استدعي خداماً آخرين . يا للرعاع ! » .

وبقي ابو جين والطبيب صامتين مدة انتظارهما . وقد عادت علامات الرضا والرشاقة الخبيثة الى الاول . فابتدأ يذرع ارض غرفة الانتظار وهو يهز رأسه بلطف كما لو كان يدبر شيئاً ، ولم يكن غضبه قد برد بعد ، ولكنه حاول ان يبدو كما لو كان لا يلاحظ وجود عدوه . وكان الطبيب يستند على حافة الطاولة باحدى يديه يتطلع الى ابو جين بنفور شديد وبالاحرى بذلك البغض الفظ والقبيح الذي لا يشعر به الا الرجل الكئيب وسيء الطالع حين يرى الاستخفاف والرشاقة امامه .

وبعد قليل ، حين اخذ الطبيب مقعده في العربة وابتعد بها كانت عيناه تطرفان بازدرا . وكان الظلام مخيماً بشدة اكثر من ساعة مضت . وقد اختفى الآن نصف القمر وراء الهضبة الصغيرة واجتمعت السحب التي كانت تحرسه في بقع سوداء حول النجوم . وابتدأت العربة الصغيرة الاخرى ذات المصابيح الحمراء تقعقع في الطريق ، ثم تخطت عربة الطبيب . انه ابو جين في طريقه للاحتجاج ، ليرتكب كل اساليب الحماقة .

وطوال الطريق لم يفكر الطبيب بزوجته اوبأندريه ، ولكن بأبو جين وهؤلاء الذين يعيشون في المنزل الذي خلفه لتوه . وكانت افكاره غير عادلة ، لا انسانية وقاسية . وكان يدين ابو جين وزوجته وبابشينسكي وكل اولئك الذين يعيشون في نصف الظلمة الوردية ورائحة الدخان وطوال الطريق كان يمقتهم ، وكان قلبه يفيض بالكراهية لهم . اما الاعتقاد الذي كونه عنهم فسيدوم طيلة حياته .

وسيمضي الزمن وكذلك ألم كيريلوف ، ولكن هذا الاعتقاد الظالم بحق القلب الانساني ، وغير اللائق به لن يمضي . بل سيبقى في ذاكرة الطبيب حتى القبر .

دمشق سهيل ايوب

الفرصة لا تغيض ابداً

مترجمة عن الانجليزية

بقلم مبارك ابراهيم

●

كثيراً ما تسمع في احاديث الناس وأسمارهم أطيب الحديث وأعذبه عن رجل قد أدرك سوله في الحياة وبلغ في النجاح اقصى المدى.

وكثيراً ما يقوم من بين السامعين من يعقب على هذا الحديث فيقول: هذا حق! ولكن احوال ذلك الزمان تغاير أحوال زماننا. ولو حاول صاحبكم اليوم ما حاوله من قبل لما ظفر بما ظفر به.

ووراء هذا القول تجثم فكرة علقت بأذهان الناس، وأوحت اليهم ان النجاح اليوم في الحياة أصبح تكتنفه الصعاب، وتحيط به العقاب. وأنه كلما خلف جيل من الاجيال سابقه كانت الصعاب أعنف وأقسى.

فهل هذا القول حق؟ وهل بلغنا في هذا السبيل — سبيل الفرص — مرحلة التحجر والعقم. فأصبح السعي لادراك النجاح باطلًا وزوراً؟

اننا نسلم تسليما مطلقاً بأن احوال زماننا تختلف مما كانت عليه من قبل. وكذلك كان الامر في كل حقبة من الحقب. ذلك لان الحياة في هذه الدنيا من خصائصها التغير والتبدل.

وكذلك نسلم بأن بعض فترات الزمن في حياة امة من الامم هي أبعث على ادراك النجاح من فترات اخرى.

وان الامم لها مواسم تزهى فيها وتزدهي بما بلغته من مجد وسؤدد كما ان لها مواسم تود لو تمحى من سطور كتابها.

ففي انجلترا مثلًا لا يعيش القوم كما كانوا يعيشون أيام مجد الملكة «اليزابث». فهل نتخذ من هذا دليلًا على ان فرص المجد والسؤدد قد غاضت وولت. وانها لن ترجع ابداً؟ كلا! فهذه كلها امور نسبية. ذلك لان عصر الملكة «اليزابث» كان عصر مخاطرات كبرى. وعصر ازدهار في الآداب والفنون.

ولكن هل بلغ ذلك العصر مبلغ عصرنا هـذا في تقدم الاختراع والكشف العلمي؟

كلا! وأقولها بملء فمي.

ونحن عندما نقرأ عن الملكة «اليزابث» وعن الرجال البارزين في عصرها من أمثال «سير مارتن فروبشر» (١٥٣٥—١٥٩٤) «وسير فرنسيس دريك» (١٥٤٠—١٥٩٦) «وسير والتر رالي» (١٥٥٢—١٦١٨) انما نقرأ عن شخصيات سامية ممتازة. لا عن أشخاص عاديين. وانما نحن نقرأ عن شخصيات أضاءت ما حولها. ولكن ليس لقائل ان يقول: ان اولئك الرجال العظماء يفوقون عظماء اليوم الذين يعيشون بيننا.

اما الرجال العاديون. واما النساء العاديات فهم اليوم أسعد حظاً ذلك لان عندهم من فرص الثقافة والتعليم ما لم يرزقه اولئك الرجال والنساء. الذين عاشوا أيام تلك الملكة.

وان ميادين العلم اليوم لارحب وأوسع من تلك الميادين التي جال في رحابها العالم الفيلسوف «فرنسيس باكون» (١٥٦١—١٦٢٦) وان مجتمعنا اليوم — على ما به من ألوان النقص — ليشع بالاخاء والمساواة اشعاعاً باهراً.

وان تكافؤ الفرص اليوم قد أصبح مرقاة يعرج عليها الفقير الى ذروة المجد وقمته.

ولكن هب الامر كان على النقيض من ذلك فهل هذا يغير من الامر شيئاً؟ ان المسئلة التي لا يختلف فيها اثنان هي ان الحقبة من الدهر التي نعيش فيها اليوم بما لها وما عليها اذا قيست بأية حقبة اخرى كانت لاعيننا صورة متشابهة لا تختلف في الملامح والسمات. فدرجات السمو فيها متاحة للناس جميعاً. ودركات الانحطاط

كن قوياً

***

كن قوياً !

ما كنا لنلهو ، ونحلم ، ونَنساق ؛
امامنا مهام لتنجز ، واعباء ثقيلة لتحمل ؛
اياك وتجنب الكفاح — بل واجه الاعباء ،
هي هبة من الاله

كن قوياً !

اياك وقول « الظروف سيئة ، من الملوم ؟ »
ثم تطوي اليدين فتذعن — يا للعار !
قف ، واجهر بشجاعة ، مسمياً بالله .

كن قوياً !

ما هو بامر ذي بال الى اي غور قد تمكّن السوء ،
او باي شدة تسير المعركة ، وباي طول تمضي الايام ؛
لا تتقهقر — امض في جهادك ! غداً . . . تصدح بالغناء .

عمان — عن الانجليزية — يوسف بوراله

قد تزل فيها أقدام اقوام فتردى .

ومن ثم فلسنا أسوأ حالا ممن سبقونا . بل ان اكثرنا اليوم لأوفر حظاً من أكثر الذين عاشوا من قبل اذا أدخلنا في حسابنا ان التعليم أصبح مورداً عذباً للجميع وان المجتمع اليوم هو اكثر ديموقراطية مما كان من قبل . وبذلك أصبح باب التقدم مفتوحاً لكل من استطاع ان يلجه . ذلك الباب الذي كان موصداً في وجه الفقراء والاميين .

ولو كانت الحياة لا تعرف التغيير والتبديل لجاز لنا ان نشكو وأن نقول ان الفرصة قد غيض ماؤها وأن سماءها قد أقلعت . ولكن الحياة لا تني عن الحركة . وهي لا تني عن التحويل والتبديل . ومع التحويل والتبديل توجد الفرص وتتجدد . بل اني لا ابعد في القول فاقرر أن نسبة التبديل والتغيير هي اليوم أسرع مما كانت من قبل . .

والفرصة باقية ما بقيت الحياة . وهي لن تغيض ابداً . وهي اليوم سريعة الخطوات . وذلك تبعاً لاتساع مدى التقدم العلمي وسرعته .

وقد ننجح نحن او نفشل . ولكننا اذا فشلنا فان حكم العقل يقضي بأن لا نلوم الا انفسنا ، على اننا أغفلنا الفرصة فأغفلتنا أو على أننا لم نؤت من الصفات اللازمة ما يتيح لنا الاستفادة من تلك الفرصة .

وانه لحق ان الفرصة تتغير خصائصها ومميزاتها بتغير الازمان . فليس احد اليوم بقادر على ان يستكشف امريكا . ذلك لان كولمبس قد فعل ذلك من قبل .

وليس احد اليوم بقادر على ان يخترع مرة اخرى القاطرة البخارية ، ولكن الى جانب ذلك نجد الف ميدان وميدان لاختراعات جديدة هي في حاجة الى مخترعين . وهي مخترعات قد تكون انفع للمجتمع واجدى عليه من القاطرة البخارية ومن الطائرات .

وهناك كلمة يتناقلها المقامرون وهي ان القبة الزرقاء هي الحد الاقصى ! وهذا القول لا يصح ان يقال اليوم فان القبة الزرقاء لم تعد الحد الاقصى ، فالقنبلة الصاروخية قد جعلت فتح اقطار القبة الزرقاء محتملاً .

وفي عصرنا هذا ليس هناك قانون يمنع ان يبلغ عدد النسخ التي توزع على الناس يومياً من صحيفة من الصحف ثلاثة ملايين نسخة . وفرصة انشاء مثل تلك الصحيفة قد عرضت لرجال كثيرين . ولكن اتيح لواحد منهم — ليس غير — ان يظفر بها . ذلك لانه قد اوتي القدرة على الترجيه والانشاء . والخلق اكثر مما اوتي سواه من المنافسين الطامحين .

وهل كان هناك قانون يمنع من استكشاف تحديد الاتجاه الاثيري ؟ ولكن فخر هذا الكشف قد ناله « سير واطسون واط » (١٨٩٢) يوم كان مهندساً مبتدئاً . ذلك لانه كان يملك المعرفة الفنية اللازمة . وكان به ولع شديد بالبحث والتجربة . وكان فوق ذلك يملك ارادة قوية تعينه على الدرس والمثابرة حتى ظفر بثمرات ذلك الدرس ونتائج تلك المثابرة .

وعلى هذا وجب ان نقول ان الفرصة لا تغيض ابداً في اي ميدان من ميادين الحياة .

والجوائز التي تمنحها الحياة اليوم لا تقل عما كانت تمنحه في الايام الخالية . ولا يزال في جعبة الحياة جوائز كثيرة للفائزين في الحقب المقبلة .

فليثق المرء ثقة تبلغ حد العقيدة ان الفرصة لم تمت يوم مولده وليعد لها العدة . ولا يكن غافلاً عن لقائها يوم تقبل عليه بوجهها الوضيء السمح .

القاهرة — مبارك ابراهيم

بين الحلم والتجربة

بقلم يوسف الشاروني
ليسانسيه بالفلسفة من جامعة فؤاد الاول

اول ابريل (نيسان) عام --١٩

جاءني

الليلة خطاب من صديقي م . يقول فيه :

عزيزي : لقد مات (بان) اله الرعاة الذي عبده الاغريق اجيالا طوالا ، مات في افئدة سادة الفكر قبل ان يموت مع طيات التاريخ . والى صديقي الحائر القلق من قلب به جذوة الحب الحزين المضطرم مع اضطرام آلامك ، الهاتف مع منازع نفسك ، المشوق الى ان يشعر بقلبك ما يشعر بقلبه ، فتحمل عنه ما يحمل في اعماق نفسه من هدوء غرد سعيد . فقط وان كان لا يشعر انه واسع القلب كما ينبغي — يشعر ان القلوب الكبيرة لا يمكن ان تسعد لانه تنقصها سعادة الآخرين ، يشعر انه لا يمكن ان يسعد وهو يحس في اعماق نفسه بان نفسك المناضلة المكافحة كالسفين وقد اخذته الزوبعة وهو صريع كفاحه لا نسمع منه الا همهمة بعيدة هي اثر كل ما نحس به من نضال رهيب .

فالى ان تبلغ الشاطىء ، والى ان تصل ايها الجواب الى الميناء ميناء الاستقرار والنصرة ، سيبقى صديقك مشوقاً قلقاً محباً آملاً ان تصبح حياتك لحناً منسجما . وسيبقى صديقك ساكناً عن التهنئة العميقة الى ان يبلغ تهنئة اعمق .

المخلص : م

٧ من ابريل

المرهبي

يا روح منتصف الليل ، فكثيراً ما يخيل الى انني كهذا الانسان الذي ارادت الآلهة الاقتصاص منه فحرمته ظله .

وفي لحظة يائسة — هجر فيها النوم اجفاني — دوى صوت رهيب يقول : انتحر ، انتحر • وفكرت ان اقوم لاقرأ عن هيجر باس ثم اكتب وثيقة اعلن فيها تفاهة الحياة . لقد هربت الى الريف ، ثم عدت الى المدينة والى ضجتها وضجيجها ، وفي اثناء عودتي كانت ثمة فكرة تملأ علي الزمان ، ذلك ان اقذف بنفسي بين عجلات القطار . وحاولت ان اقرأ شيئاً من اشعار الاخوات الثلاث « برونتي » لكنني لم أستطع ، فقد كانت الفكرة تلح علي . وذهبت في آخر العربة ونظرت ما بين العربتين ، ورأيت العجلات تدور في سرعة كأنما تغريني نحوها . وسمعت دوي القطار المتكرر المنتظم ، واحسست بالدوار • فعدت الى مقعدي بسرعة . وقمت اطل من نافذة القطار ، ورأيت الطبيعة تترامى امامي : الحقول بجمالها وسواقيها والجبال من بعيد . واحسست بقوة الحياة . وفي لحظة تذكرت كل شيء ، كل ماضي وكل حياتي . وارتفع صوت عجلات القطار ، وتراءت امامي صورة جسدي وهو يقطر دماً ، ثم غابت الصورة الدموية بين الجبال المترامية والحقول النشوانة . وذهبت اعدو نحو باب العربة من جديد ، ونظرت الى العجلات وهي تتحرك حتى اغرقت فيها عيني ، وفجأة سقط كتاب الاخوات الثلاث مني بين العجلات • وجفلت ، وحزنت على صديقي الكتاب ورجعت وانا احاول ان اطرد من مسمعي ذلك الدوي الذي ينبعث من القطار وعجلاته الضخمة .

ووصلت الى المدينة العظيمة ، وواجهتني بكل صخبها وضجيجها . . وعبثاً حاولت ان انام . وذكرت ما قاله هايني : انه ليس في الامكان ان تكتب تاريخ حياة عن « كنت » لان « كنت » لم يكن له حياة ولا تاريخ ، انه ، لم يعرف اللمسات الانسانية الدافئة . وبدا لي « كنت » — ذلك العملاق المارد — انساناً مسكيناً . كنت على استعداد لان ابيع مستقبلاً كمستقبل صاحب الثورة الكوبرنيكية في مقابل لمسة انسانية واحدة .

اريد ان امتنع عن كتابة هذه اليوميات . فهذا الوعي بالذات وهذه الخطيئة ، خطيئة التعبير التي اقترفها اكبر اسباب قلقي .

فليس سوى جبار ذاك الذي يجابه هذه الحقيقة المرة ثم لا يموت . كالصورة اليهودية القديمة ان كل من قابل الله ورآه وجهاً لوجه فحتماً يموت . فكل من يدرك تماماً تفاهة الحياة فلا بد له ان يموت .

لذلك اعتقد انني لم أر الحقيقة تماماً ، بل كما رأى موسى الله في شكل غيمة وضباب ثم عاد ووجهه يلمع ، كذلك لم أر انا هذه الحقيقة الا من بعيد في ضباب وغيوم . ويبدو انني اعود وفي نفسي لمعان غريب . ان اليهود لم يستطيعوا ان ينظروا الى وجه موسى لشدة لمعانه فوضع عليه برقعاً ، وانا اعلم ان الناس لا تستطيع ان تنظر الى ذلك اللمعان النقي الذي احسه ، بل ولا حتى انا ، لذلك كان لا بد من البرقع ، ذلك التعبير الذي يخفي وراءه ما لا يمكن التعبير عنه . ولن تراني الناس الا منه خلف ذلك التعبير فيحسون بان ثمة لمعاناً هناك . ولقد عاد موسى من عند الله ومعه الوصايا العشر ، فماذا تراني اعود الآن من ذلك الجبل الروحي الذي كنت به وحيث مر الله امامي في شكل ضباب وغيمة ؟ لست ادري لماذا عقدت هذه المشابهة بيني وبين موسى وقد اندفعت فيها وانا فرح بها .

١٥ من ابريل

لست وحيداً في هذه القمة المخيفة الرائعة ، بل معي صديقي ارسل اليّ بعدما غادرني الرسالة التالية :

... ان الحب خطيئة ، ولكن الخطيئة مرتبطة كل الارتباط بالانسان من حيث هو كذلك ، انها خطيئة ضرورية لتركيبنا الروحي ضرورة الماء والهواء لتركيبنا الفسيولوجي . الحب مسند نظن اننا نستطيع ان نسند عليه ظهورنا ونحن ندافع ضد هذه العناصر المعادية . . هو متكأ نحاول ان نتكئ عليه لنرتاح بعد رحلة طويلة شاقة قطعناها بمفردنا في طريق جاف تغمره حرارة قاسية ، اجرد وعاطل من كل نبات . طريق وكأنه بحر من نار . الحب لا يلبث ان يعود اليه الانسان ليشعر ببعض الدفء الروحي بعد ليل بارد قارس مظلم الى ابعد حد ، وقد امتلأ اشباحاً وخيالات مخيفة بشعة . وبعدها . . بعد ان نستقر لحظة نعود الى الليل ، ونعود الى الطريق .

ولكن ليس للحب هذه الضرورة ، هذه الضرورة المرتبطة بضعفنا العاطفي الروحي ، هذه الضرورة مرتبطة بنوع من الطفولة التي لا يمكنها الحياة الا في جو العناية والرعاية والحنان . لكن الانسان بعد تجارب قاسية مريرة هدامة ، ينتقل الى دور الرجولة الروحية ، حيث يندفع الى الحياة بمفرده ، يندفع الى الحياة نشطاً قوياً مغامراً . هنا يصبح الحب عبئاً ثقيلاً ، ثقيلاً الى ابعد حد . وكل حب يستمر الى هذا الدور من الادوار الروحية يصبح فريسة هذا النشاط وهذه القوة بعدما كنا في ضعفنا فريسة له . انه يستحيل الى فريسة تعطي كل ما لديها لهذا الرجل الفرد حتى يقوى على السير الى اعماله الضخمة التي تتطلبها رجولته وقوته ورسالته .

فالحب اذن شيء يرتبط بطفولة تأبى الا ان تعيش معنا دائماً ونأبى نحن الا ان نحتفظ بها ، ثم ننتقل الى مرحلة كلها نور وكلها تضحية وكلها قسوة وكلها عناء ، مرحلة الشعور والوعي النقي الصافي . هنا لا خطيئة . هنا لا ظلام . ما هي الطفولة الروحية ان لم تكن مرحلة اللاوعي الروحي ، مرحلة الاختلاط والاندماج والاعتماد على الغير ، بينما الرجولة الروحية هي مرحلة الوعي والشعور الذاتي ، وهذه كلها تتطلب الاعتزال في برج الرسالة التي توضع في عنق كل عبقري ، هنا نتحرر من الضيق ومن هذه الآلام التي تنبع من القلق وعدم الطمأنينة وعدم الاستقرار .

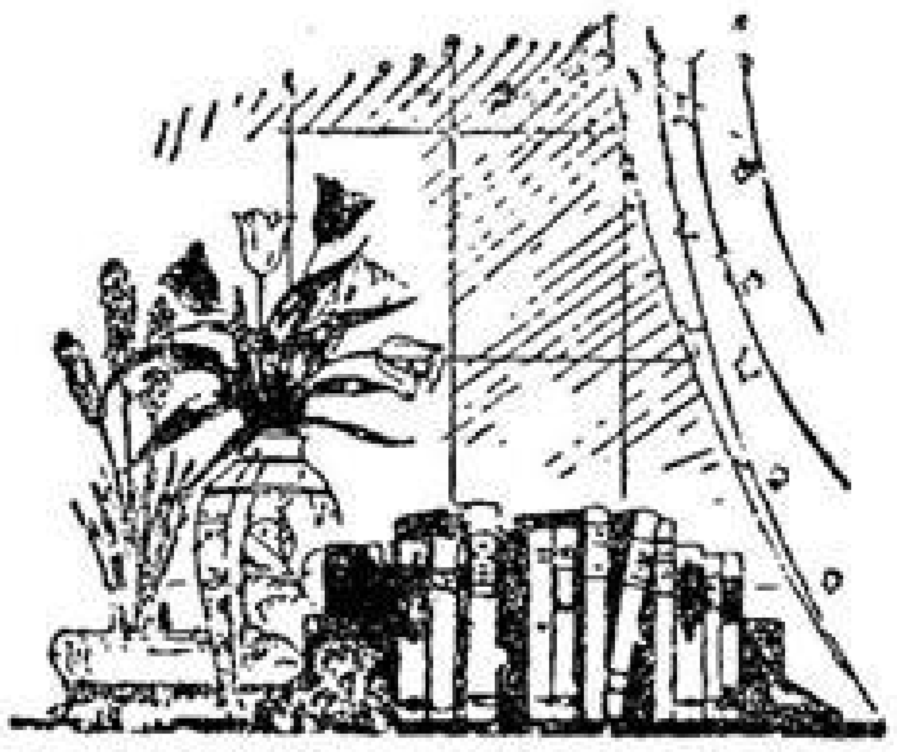
ان الحب عصا نعتمد عليها ونحن نتخبط في الظلام ، في مكان لا نعرفه بعد . وحين نخرج الى النور ، ونخرج الى الطريق الواضح نلقى بعصانا جانباً . ونسير في مرح وفي سعادة ، سعادة منطلقة مندفعة ودافعة . والحب ما هو الا صلة تحتفظ بالرجل في دائرة الطفولة التي ترعاه فيها امرأة ، امرأة قد لا تعرف الرعاية ولا الحنان ولا العناية . لكن الرجل يستفيد بالحب ، بهذه الحيلة ، بهذه العصا ، حتى يصبح ولا حاجة له بها فيلقيها الى حيث يتناولها من هو في حاجة اليها .

اول مايو

« هذا الجزء من اليوميات مكتوب بضمير الغائب »

عندما اقبل الى هذا الوجود كان كائناً مستبهماً ، ثم اخذ يتميز شيئاً فشيئاً . وكان اول خطوة خطاها من اجل ان يتميز هو ان يثور على هذا الاستبهام . وكان معنى هذا ان يقوض دعائم هيكل رهيب يصلي فيه الناس جميعاً كي يبني لنفسه وبنفسه هيكله . لكنه خطا الخطوة الاولى فحسب ، فذهب وباع كل ثروته ، بل انه تركها كما ترك ابراهيم اهله

الاديب



☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدوءها شهر كانون الثاني (يناير)

تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ٥٠ ريالا

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيهاً مصرياً او استرلينياً

او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

☆

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

للاعلان تراجع ادارة المجلة

○

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ – ٩٢ — Direct. : 92 - 47 } Tél.
{ المنزل : ٣٧ – ٤٨ — Dcle. : 48 - 37 }

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت – لبنان

وعشيرته كي يتغرب . اما كل محاولاته الجبارة التي قام بها كي يحصل على شيء . فقد باءت بالفشل ، وباءت بالفشل لسبب هام : ذلك انه كان يريد . . بغير ان يؤمن .

. . فهو لا يمكن ان يبدأ الا اذا آمن ، اذا آمن بنفسه اولا وبالانسانية ، اذا آمن بالحياة والوجود . وليست المشكلة مشكلة ايمان بحقائق او وقائع بقدر ما هي مشكلة ايمان بقيم ، قيمة نفسه وقيمة الحياة وقيمة الوجود ، ثم قيمة التفاصيل الداخلية في هذا كله من حركات واتجاهات . وقد حاول عبثاً ان يلغي المشكلة من حياته عالماً انها مشكلة انسانية بحتة . واكثر الفلاسفة تعرضوا لمشكلتي الوجود والمعرفة لكنهم كانوا يقتربون من مشكلة القيمة في حذر كبير ، هذه المشكلة التي هي نتيجة صدام بين الوجود والمعرفة . بعضهم يلغيها وبعضهم يحلها على اساس فردي أو اجتماعي لكن واحداً من هذه الحلول لم يطمئنه حتى الآن . وهو يعلم ان مشكلة القيمة متعلقة بمشكلة الغاية ، وهو لا يرى غاية في الحياة خارج الحياة ، فقيمة الحياة مستمدة من الحياة نفسها . وهنا تظهر مشكلة الفرد ، الفرد الذي يعرف العلاقة الضرورية بين الامكانية والمجال لكنه لا يهتدي الى امكانياته لانه لا يعرف مجاله . لقد كان مستريحاً حين كان يعدو في الارض المنطلقة الفسيحة ، اما حين وصل الى المدينة ذات الطرق ، فقد انطلاقه لانه لا يعرف ايها يأخذ .

ولقد سارع ودوّن لحظات حياته الواعية القصيرة ، وهو يعلم جيداً انه ما احس بنفسه الا يوم بدأ يثور ويشك ويفقد طمأنينته التي رجاها له المجتمع . لم يكن شكاً من هذا النوع الاكاديمي ، ذلك الشك الذي « يمكن » لرجل مطمئن ان يتحدث عنه وهو جالس الى مكتبه وفي يده ورق وقلم ، بل كان شكا حياً صاخباً . وقد فشلت كل محاولاته لانه كان يحيا بلا ايمان ، وقد حاول عبثاً ان يجد الايمان ، بل وجد نفسه اخيراً بتلك اللعنة التي انصبت على آدم حين أكل من شجرة المعرفة ، وكلما اوغل كلما اصبح – مثل هاملت – فاقداً قدرته على ان يعمل لانه لا يستطيع ان يتحسس او يندفع :

ان هذا المساء لمساء عجيب . فقد ظلت العاصفة تعوي طوال هذا اليوم وتحمل معها غباراً باردا فيه ذرات كثيرة من الرمل والحصى والتراب . وما اقبل الليل حتى جلس الى غرفته وحيداً يقرأ كيركجارد ويقرأ تاجور ، وهو يعجب كيف اجتمع الدانمركي مع الهندي في مصر . وكان يجد عزاء في هذه الكلمات ، عزاء لان

الدانمركي كان مثله فاقداً قدرته علي الايمان ، ولان الهندي كان في بعض ابيات من الشعر الرائع يشرح ويوضح له تجربة انسانية اخيرة مرت به ، كان في هذه الفترة المخيفة ، فترة الرعب والرعدة ، التي تسبق كل ايمان ، او التي تظل حتي ينتهي الفرد . فهو يستطيع ان يلخص الاعوام الاثنين والعشرين التي عاشها بأن يضعها تحت هاتين الكلمتين : رعب ورعدة . وكان كثيراً ما يتعامل في العالم الروحي بنفس الطريقة التي بها يتعامل في عالم المادة . كان انساناً أنانياً في اول أمره ، يريد — كالطفل — ان يأخذ دائماً . ولما وصل — بعد جهد — الى مرحلة ظن فيها انه يستطيع ان يعطي ، كان يرى من حقه ان يقدم للناس وضعاً ليس خيالياً ولا مستحيلاً بل وصل اليه هو بنفسه . فكما اهدى فتاته كتاباً ذات يوم ظن كذلك انه يستطيع ان يهديها ما وصل اليه في حياته الروحية ، لكنه نسي انه لم يستحوذ على تلك الحال بثمن بخس ، بل دفع في سبيلها كل لحظة من لحظات حياته ، ومع ذلك فقد اراد ان يهديها ذلك اهداء بلا مقابل . ولكن الحياة الروحية ليست املاً في الحصول على الخالد . لكنه لا يمكن ان يحصل على الخالد الا اذا آمن .

وهو يقرأ تاجور ، فيقرأ عن هذه الفتاة العمياء التي قدمت له عقداً جميلاً من الورد على ورقة من اوراق اللوتس ، وكيف قال لها : انك عمياء يا ابنتي مثل الورد الذي تهدينه لي ، انك لاتدرين شيئاً عن جمال هذا الورد الذي قدمتيه لي . ويقرأ عن ذلك الحب الذي كان سراً متدفقاً في قلبه ، فلما اقبلت اخرج لها السر كي تحتفظ به في قلبها وتدفئه بجنانها ، لكنها لم تتقبله فاذا هو ملقى على الطريق كطفل نزعت حواجبه يحدق في ضوء الشمس . . ويظل يقرأ ويقرأ وهو يحدق في فراغ المستقبل ، ويزعجه انه لا يستطيع شيئاً طالما هو لا يريد ، وهو لا يمكنه ان يريد طالما هو لا يؤمن . لقد سلم كل ما لديه ، اتراه يمكن ان يحصل على شيء ؟

لقد امضى ثلاثة ايام من اعجب ايام حياته . اما اليوم الاول فقد امضاه مع صديقه بالجبل يقرأ تاجور ، وللجبل في حياته اثر ضخم . واما اليوم التالي فأمضاه بحديقته منفرداً يقرأ « الرعب والرعدة » والايمان الذي يتطلع اليه كيركجارد كما تطلع موسى الى ارض كنعان . اما اليوم الثالث فقد جلس يفكر في تجربة للصمت يقوم بها .

يقول كيركجارد ان ابرهيم قد صمت لانه كان يعلم ان احداً لا يفهمه ، لا ليعازر ولا ساره ولا اسحق ، اما هو فسيصمت لانه لا يفهم نفسه . ان ابرهيم لو قال بما سيفعله على قمة جبل الموريا لليعازر او ساره او اسحق لضحكوا منه ، اما هو فيضحك من نفسه . لقد كان لابرهيم الايمان ، الايمان الذي يحمله على القيام بعمله رغم عدم فهم الناس له . اما هو فليس لديه الايمان ، فلا الناس يفهمونه ولا هو يفهم نفسه . لقد قام بحركة التسليم اللامحدودة ، وهي في حاجة الى حركة الايمان ، الى ان يكون فارس الايمان . ام ان الطريق الذي سار فيه حتى الآن قد ابعده نهائياً عن امكانية الوصول الى مثل هذه المرحلة ، وفرض عليه ان يظل يحيا في مرحلة الرعب والرعدة ؟ وهو لا يدري كيف سيصل الى الايمان ، هل سيهبط عليه من السماء ويلقى في قلبه القاء كما حدث للغزالي منذ عشرة قرون ؟ انه ما عاد يتوقع ان يحدث له هذا . ام هل تراه لن ينتهي الى شيء ويظل يحيا في رعبه ورعدته ، ويحاول ان يهرب منها بأن يتحدث بعيداً عن نفسه ؟ ربما يصبح عالماً يكسر الذرات او تاجراً يجمع الاموال او شاعراً يكتب القصائد ، لكن هل يستطيع ان يقبل على شيء من هذا بغير ان يؤمن به ؟ لقد حسب الصعوبة في طريقة التنفيذ ، فاذا الصعوبة في تصميم الطريق نفسه .

وانه ليخشى ان يكون تطلعه نحو الايمان نوعاً من الشيخوخة المبكرة ، رغم ما يقوله كيركجارد من ان ايمان ابراهيم كان سبباً يحفظه مع ساره امرأته في شباب دائم . فهو يذكر يوماً آمن فيه بحياة القلق ، واعتبر التخلص منه موتاً واستسلاماً سواء للنور او للظلام . فهل تراه سينتهي الى الايمان بالقلق ، ويعيش في هذه المغالطة الواعية « الايمان باللاايمان » وهل لهذه الحال وجود في الحياة الروحية كوجودها في الفاظ اللغة ؟ فلشد ما يخشى ان يقوده عالم اللفظ بعيداً عن عالم نفسه . انه ليعلم ان عنده صبراً عجيباً ، مذ كان في صباه يجلس الليل كله يدون قصة الفها في مئات الصفحات ثم يمزقها ليكتب غيرها ، وهو يخشى ان تكون هذه المحاولة علامة على نفاد صبره .

وانه ليتساءل عما اذا كان هذا القلق سببه معرفة الكثير ام معرفة القليل . ان ما يثق فيه — ان كان على ثقة من شيء هذه اللحظة — هو انه حين كان جاهلاً كان مطمئناً ، فلما خرج الى حياته الواعية انتابه القلق . انه يحس انه لا يعرف الا القليل ، وان هذا القليل قد زلزل حياته ، وانه مهما عرف فلن يعرف الا القليل .

يبدو ان الايمان لا يمكن ان يخضع للمعرفة ، وهو يريد ان يخضع ايمانه للمعرفة ، في هذا تربض مشكلته الجبارة التي منها يرتعب ويرتعد .

الخرطوم

يوسف الشاروني

الترجمة بين الابداع والتقليد

بقلم ربيع الصلح

●

في هذا العصر نزعة قوية نحو ترجمة كل ما هو غربي. ففي كل يوم نطالع كتباً جديدة ترجمت عن اندره جيد . أو عن بروسبير مرييه او عن اندره موروا الخ . . من الادباء اللامعين . . هذه النزعة بل هذه الخطوة الجديدة التي يخطوها الادب المعاصر ستترك في ادبنا اكبر الاثر بما ستخلق في نفوسنا من آفاق جديدة . . وبما ستثير في خاطرنا من افكار كانت بعيدة عن متناول تفكيرنا . ومهما كثر المترجمون ومهما اختلفت نزعاتهم وآراؤهم في الترجمة فلن يحيدوا عن طرق محدودة معروفة الفوها منذ امد بعيد . .

فالبعض يرى بان المترجم الصادق هو من استطاع ان ينقل الى لغته تلك المشاعر وتلك الاحساسات التي عناها المؤلف وله ان يتصرف ان اقتضى الامر على الا يشتط . فهو يستطيع ان يعبث بالشكل او بالقالب ان اراد، ولكن من دون ان يعبث بالموضوع والافكار. وهذا يقتضية بان يعنى بتصوير الافكار قدر ما يستطيع . وقد يصح له اذا لقي بعض الحرج في ذلك ان يتنـاول الفكرة من زاوية جديدة ملائمة لم يتناولها منها المؤلف . فـالمهم هو تصوير الفكرة في قالب معبر واضح . اما في « الادب الرمزي » فقد لا نستطيع ان نتناول افكاره بمثل هذه السهولة التي نتناول بها بقية انواع الادب فهذا الادب يعيش على الايحاء الطليق ولا يسمح لنا ابداً بان نعبث بالصور التي يريد ان تتشكل في خاطرنا . وعلى هذا فعندمـا تستعصي علينا الفكرة . وعندما نعجز عن التعبير الواضح فلا يحق لنا ان ننظر الى الفكرة من زاوية جديدة . فالزاوية الاولى هي المعبرة . وهي « الموحية » وهي ما قصد المؤلف . . كل هذا يقتضينا بان نقتصد قدر ما نستطيع في ابراز ما لنا من قوة التصوير والتعبير حتى ندع المؤلف يصور لنا ما يريده وكأننا نـكتب ما يمليه علينا دون اعتراض .

هذا التحفظ الشديد الذي يلزمنا به الادب الرمزي احجم الكثيرين عن ترجمة روائع الرمزيين « كبودلير » و« رامبو » مع اننا نرى المكاتب مليئة بترجمات عن « لامـارتين » و« غوته » و« بيرون » وغيرهم .

ويرى الآخرون بان المترجم هو عبد المؤلف . فهو يقتفي اثره في كل شيء . في الاسلوب . في التعبير . في الافكار وحتى في وضع النقاط والفواصل . هذا النوع لا يلقى الآن كثيراً مـن التشجيع ولا تلقى مترجماته كثيراً من اللهفة حتى لدى المثقفين . فالفكرة التي تنسجم مع اللفظ الغربي قد لا تنسجم مع ترجمة هذه الالفاظ بالحرف الواحـد . . فلكي نتقبل الفكرة قبولا حسناً يجب ان يكون هناك انسجام كما في الموسيقى بين الفكرة وبين الاداء. لذلك نرى انفسنا وقد اصابها السأم لدى قراءة مثل هذه الترجمة. وبعد هذا كله فاننا لا نستطيع ان نتمتع بالنص الاجنبي المترجم حرفياً تماماً الا اذا « ترجمنا ذوقنا » ايضاً الى ذوق جديد هو الذوق الذي يتذوق فيه الفرنسي قطعة فرنسية . فالمتعة التي يتمتع بهـا الافرنسي لدى قراءته فكرة جيدة في لفظ انيق . هذه المتعة لن

اورفيـــوس

☆

اسطورة اغريقية تزعم بأن « اورفيوس » الشاب الموسيقي كان يحرك الجماد ويجعل وحوش الغاب تدنو منه مأخوذة بنشوة الالحان حينما كان يعزف على قيثارته

لوليم شكسبير

***

اورفيوس .. بقيثاره رنح الاشجار ،
واحنى قمم الجبـال المتجمدة ،
حينما كان يعزف :
بموسيقاه انبثقت النباتات والازهار
والشمس والمطر جعلا منها ربيعاً ابدياً
جميع الاشيـاء التي اصغت لعزفه .
حتى امواج البحر .
كانت تحني رؤوسها ثم تضطجع بجانبه .
موسيقى ساحرة بفنها العبقري تبـدد الهموم
واحزان القلب حين تسمعها .
تستسلم للرقاد او تموت .

البصرة – العراق **يعقوب قرام منصور**

نفوز بها ابداً كما فاز بها الفرنسي . لان هذا الاثر الفني يضطرب في جو غريب لا الفة بينها ولا تقارباً . وعلى اي حال فهذه الطريقة هي السبيل الوحيد لترجمة « الادب الرمزي » . فهي كالظل الصادق لشبح الرمز الطليق . ومع ان هذه الطريقة قد تزيد الرمزية غموضاً . وقد لا تصلنا الترجمة الا وقد شوهت بهذا القالب الجديد الذي قد لا يعطيها كل وضوحها وايحائها . ومع هذا فانها لا تزال الطريقة المجدية لترجمات الادب الرمزي . والى كل هذا فان هذه الطريقة تتجاهل شخصية المترجم تجاهلاً تاماً . فاذا حاولنـا ان نبحث عن شخصية المترجم بما تركته من آثار مبعثرة نراها قد تلاشت في ذات المؤلف ولم يظهر لنا سوى اطياف هاربة تتوارى بين السطور . فاذا ما قرأنا ترجمة « الباب الضيق » لاندره جيد ومن ثم قرأنا ترجمـة « عقدة الافاعي » لفرنسوا موریاك لعجبنا ! فالمترجم واحد ولكن شتان بين اسلوب هذا الكتاب وذاك الكتاب لان المترجم قد تلاشى في شخصيتين مختلفتين فجاءت ترجمته تساير كل شخصية على حدة .

وهناك فريق اخير يرى بان للمترجم ملء الحق في اختيـار الاسلوب الذي يريده وفي اختيار الشكل الذي يراه ملائماً لابراز افكار المؤلف الاول . وقد كثر هؤلاء المترجمون في الآونة الاخيرة حتى اصبح بعضهم يترجم من دون ادنى تحرز . فهم يعبثون في الاسلوب الى غير حد . وقد يحرفون الافكار اذا ما اقتضاهم الامر وقد يعبثون بسياق القصة من تقديم او تأخير . هذه الطريقة شاعت كثيراً في الآونة الاخيرة حتى ان بعض كبار الكتاب كان يكتفي بتغيير مكان القصة واسماء ابطالها ومن ثم يدفعها الى السوق وعليها اسمه الكبير يتلألأ في أعلى الكتاب على انه من تأليفه ووضعه . كل هذا يدعو القارىء الى كثير من التحفظ ويثير شيئاً من عدم الاطمئنان الى صدق المترجم . وهذه الطريقة شاعت في محيط الادب الرخيص ولم تتعداه الى محيط الادب العالي الا في بعض الاحـايين وعلى ايدي بعض الكتاب المتاجرين .

هذه هي السبل العامة للترجمة وهي تتبع ذوق البعض من حيث نجاح طريقة دون اخرى فمن اراد الامـانة والاخلاص للمؤلف وللقارىء ولنفسه استطاع ان يوائم بين هذه وتلك حتى يفوز بترجمة ناجحة ترضي الذوق ولكـن من دون ان تسايره في مواضع ضعفه وانحطاطه . فالاثر الفني لدى ترجمته يصبح هدفاً لثلاثة اشياء : الوفاء للاثر الفني . وشخصية المترجم . وذوق القارىء فلنوائم بين هذه الاشياء حتى نحصل على ترجمة صالحة ولا أقول صادقة لانهـا ستعطي الفرصة من حين لآخر لان تظهر من بين السطور شخصية غريبة عن الاثر الفني . هي شخصية المترجم الذي لا نستطيع ولا يحق لنا ان نتغافل عنها . . وقد يقال بان تلاشي شخصية المترجم هي الوفاء كل الوفاء للمؤلف ، وللقارىء ، وللاثر الفني ايضاً ولكن هل المترجم آلة ناسخة فقط ؟؟ وهل نستطيع ان نتناسى شخصيته وان ادعى بانه قد تناساها وفاء منه للمؤلف وللاثر الفني ؟؟ كل هذا يدعونا الى الحيرة التي تدفع بنا الى خلق شيء جديد نطمئن ونستكين اليه . فلا غرور يدفع بالمترجم الى العبث بالاثر الفني على الشكل الذي يراه . ولا تطرف اعمى يبلغ حد التقليد البغيض . فأمام اعين المترجم اشياء ثلاثة هي : الاثر الفني . والذوق العام واخيراً شخصيته .

دمشق **ربيع الصلح**

مغامرات شلن

للكاتب الانجليزي جوزيف اديسون ١٦٧٢ ـ ١٧١٩

ترجمة السيدة ماهرة النقشبندي

رأى النصف الاول من القرن الثامن عشر كاتباً بارعاً وفناناً اصيلاً واميرا من امراء البيان صال وجال في جريدتي السبكتاتور Spectator وتتلر Tatler وصور حياة الانجليز الاجتماعية تصويرا دقيقاً في تلك المقالات النثرية التي كان ينشرها في الجريدتين المذكورتين ، والتي تعتبر من فنون الادب الرفيعة، يدرسها طلاب الادب في اللسان الانجليزي، فترهف احساسهم وتشيع في اذواقهم روعة فن التهكم في ابلغ معانيه. تخرج من جامعة اكسفورد ودرّس في كلية ماجدولين وكان شاعرا يجيد القريض في اللسان اللاتيني. طاف اوربا دارساً متنقلاً ، وعاد منها وانخرط في السياسة فوصل الى كرسي الوزارة وجلس في البرلمان الانجليزي والارلندي مدة طويلة. تزوج في سنة ١٧١٠ من الارملة الفاتنة المثرية الكونتس واروك ومات في هولندا في ١٧-٦-١٧١٩ ودفن في مقابر عظماء الانجليز في كنيسة وستمنستر

زارني في الليلة الماضية صديق لديه فيض لا ينضب من الاحاديث ولم يسبق له ان اخفق في تسلية جلسائه بمختلف افكاره ونوادره الطريفة النادرة، وسواء اكان ذلك يتفق مع اساوبي في الحياة، او مع فكرته الحقيقية فقد اتحفنا بالكلمات المتناقضة السخيفة التالية :— ان حياة العزلة تتطلب من المرء ذكاء وجهداً اكثر من حياة العمل. وفوق ذلك فقد هزىء برجال الاعمال المعاصرين الذين يقدرون انفسهم لمجرد حركتهم ليس الا، ولان اعمالا جدية او تافهة لا معنى لها تمر بهم. وفي اثناء اندفاعه رأى قطعة نقود ملقاة على المائدة فقال لي :— انني اتحدى اي واحد من رجال الاعمال ان يكون قد جازف نصف مجازفات هذه القطعة ذات الاثني عشر بنساً فيما لو كان باستطاعتها ان تحدثنا عن نفسها.

لقد أثار حديث صاحبي هذا تأثيراً مبهماً في نفسي وحينما ذهبت الى فراشي رحت بدون شعور وفي شرود ذهني لا يستطاع وصفه ليس له هدف او غاية ، والذي لا يمكن تسميته حلماً بل هذيان وشرود.

لقد خيل الي ان الشلن الملقى على الخوان قام على اطراف نفسه وادار وجهه الي وفتح فمه وبصوت رقيق رنان قدم الي التقرير التالي عن حياته ومجازفاته : قال : ولدت على سفح جبل قرب قرية صغيرة في بيرو، ورحلت بحراً الى انجلترا في سبيكة تحت حراسة السير فرانسس دراك وحالا بعد وصولي حولت من شكلي الخام وصقلت وحولت الى نقد على الطريقة الانجليزية، وقد حفرت صورة الملكة اليصابات على جهة وشعار انجلترا على الجهة الاخرى. وبعد ان تم ذلك احسست بميل عجيب في نفسي الى الطواف وزيارة كل انحاء الدنيا الجديدة التي جلبت اليها. لقد احب الناس شكلي فنقلوني من يد الى اخرى حتى كنت قد زرت معظم انحاء البلاد ولما ابلغ الخامسة من عمري. لكن في بداية السنة السادسة وقعت لسوء

قصة

حظي في يد شيخ بخيل وضعني في صندوق حديدي مع خمسمائة قطعة اخرى من ابناء جلدتي وجدتها مسجونة قبلي. لقد كان وقت راحتنا الوحيد هو عندما كنا نؤخذ ونعدُّ في الهواء الطلق صباح مساء،

وبعد بضع سنوات في ذلك السجن سمعنا شخصاً يطرق على صندوقنا وقد كسره بمطرقته ، وقد علمنا فيما بعد أنه وارث الشيخ وقد كان من الطيبة بحيث انه ترك والده يجود بانفاسه الاخيرة واتى لانقاذنا. وقد بعثرنا في نفس اليوم. ولست ادرى ما حل باصحابي. اما ما يتعلق بي فقد اعطيت لصيدلي مقابل لتر من الكحول الابيض الاسباني، وقد اعطاني لبائعة اعشاب طبية ، واعطتني هذه الى جزار، والجزار الى بائع بيرة ، وبائع البيرة لزوجته التي قدمتني هدية لقسيس واعظ وعلى هذا المنوال رحت ادور في الدنيا وليس احب الينا - معاشر الشلنات - من الطواف كما حدثتك سابقاً. لقد كان في مقدوري دائماً ان ابتاع كتفاً من لحم الضأن وحيناً آخر كتاباً قصصياً او رواية تمثيلية وغالباً ما يكفي لاطعام احد فرسان الهيكل طعاماً بسيطاً او دفع اجرة ذهابه مع ثلاثة من اصحابه الى قاعة وستمنستر .

وفي وسط هذا السير البهيج من مكان الى مكان، القت القبض علي عجوز تعتقد بالخرافات واقفلت علي حافظة نقودها تفاؤلا بالقول المأثور السخيف (ان من تحوي حافظة نقودها شلناً عليه صورة الملكة اليصابات فلن تبقى بغير نقود) وهكذا بقيت في سجنها بضعة اشهر حتى احتاجت فاعطاها الصراف ثمانية واربعين فارذاً(١) واخذني، ورحت انتقل من جيب الى جيب حتى نشبت الحرب الاهلية التي اشعر بالعار في الحديث عنها لانني استعملت في اثارة الجنود ضد الملك، واستغل عريف من العرفاء ، ما في شكلي من اغراء وجمال وراح يجند شبان الريف لخدمة البرلمان(٢) وحينما كان يتم له ذلك يجبرهم على اخذ شلن آخر من نوع عادي ويكرر تلك الحيلة مع آخرين، وهكذا استمررت في عمل اضرار عظيمة للتاج الى ان ضحى بي صاحبي في سبيل مسراته صبيحة يوم افاق به مبكراً على غير عادته فاستهان بي على اغراء بائعة الحليب، وهذه الفتاة اهدتني الى صديقها الشاب مستعملة في الاهداء لباقة اكثر المعتاد فارسلتني اليه تقول في الاهداء : الى حبيبي ومن قلبي. وقد تزوجها هذا العاشق بعد بضعة ايام لكنه كان عديم الوفاء. فرهنني ليشرب كأساً من الخمر ثم فرط بي في اليوم التالي. واخذت طريقي الى مسارب الوجود حراً طليقاً

وبعد مجازفات عديدة من الصعب سردها. ارسلت الى شاب مستهتر مع وصية والده الميت وكان الشاب مسرفاً وقد وجدته اقام احتفالا عظيما لمناسبة تسلمه الوصية. لكنه عند فتحها وجد نفسه قد حرم من الميراث ومن ثروة لا بأس بها وعزا ذلك الى شؤم وصولي مع الوصية فرماني بعيداً بمقدار ما استطاعت قوته. فسقطت تحت حائط مهدم في مكان لا يطرقه الناس وبقيت لا يكتشفني احد مدة اغتصاب اولفر كرومويل الحكم. وبعد سنة من رجوع الملك وقع علي نظر فارس فقير من اتباع الملك وقت الظهر فاخذني فرحاً الى مطعم وتناول غذاء شهياً. وكان فرحي لا يقل عن فرحه فشرب نخب الملك بعد الطعام. وحينما رجعت الى العالم وجدت انني كنت سعيداً في عزلتي اكثر مما قدرت لانني تخلصت من السراويل البشعة التي كانت محفورة على امثالي(٣). لقد غدوت الآن ذا قيمة عظيمة وصرت اثراً قديماً ينظر الي الناس كتحفة اكثر من عملة دارجة ولذلك احتفظ بي احد المقامرين للعبه فعشت حياة كئيبة مع عدد من امثالي، فكنا نعمل مجهدين في الوقت الذي تستريح فيه النقود العادية. وكانت قيمتنا ترتفع الى الجنيه الذهبي وتنحط الى البنس حسب الحالة التي يضعنا فيها الحظ في الورق. واخيراً كان من حسن حظي ان خسر صاحبي وبذلك اطلق سراحي ورحت اسير في الحياة كعادتي.

سأمر على كثير من الحوادث القليلة الاهمية واسرع الى تلك الكارثة المهلكة: عندما وقعت في يد احد الفنانين حملني الى مكان تحت الارض وهنالك مد علي مقصاً لا يعرف الرحمة وراح يقص به حافاتي واسمي فشوه شكلي وبردني واتلفني وخربني وتركني لا اساوي اربع بنسات ويمكنك ان تتصور ما حل بي من ارتباك لرؤية نفسي بمجزأ مشوهاً ، غير انني وجدت بعض العزاء حينما رأيت كثيراً من امثالي مشوهاً بصورة شنيعة. وفي وسط هذه المصيبة العظيمة التي ظننا فيها ان لا حل لمشكلتنا وقد صرنا في حالة شديدة من اليأس ارسل الله لنا الفرج فرمينا جميعاً في فرن ، وكما يحدث عادة ان تنشأ المدن من النار، ظهرنا بجمال اروع ولمعان يفوق ما كنا عليه قبلاً.

ان ما حدث لي عند ذلك من التغير في النوع الذي تراه الآن سأغتنم فرصة اخرى لاقصها عليك ولكن هذا لا يمنعني من ان اقص عليك مغامرتين لانها غريبتان في حد ذاتهما ولم يحدثا لي ابداً في حياتي. واولاهما وجودي في حوزة شاعر، فبهره لمعاني وقد اوحى اليه ذلك باروع قصيدة هزلية في اللغة الانجليزية عنوانها (الشلن الرائع) والمغامرة الثانية حدثت عام ١٧٠٤ عندما اعطيت احساناً لرجل اعمى وكان ذلك عن طريق الخطأ لان صاحبي اراد ان يلقي للاعمى بنساً فالقى بي اليه بغير انتباه فوجدت نفسي في تلك القبعة بين البنسات وحيداً غريباً.

بغداد ماهرة النقشبندي

(١) الشلن : ١٢ بنساً والبنس : ٤ فارذنج

(٢) يشير اديسون الى الحروب الاهلية بين الملك والبرلمان زمن كرومويل

(٣) يشير اديسون الى صورة الملك المحفورة على العملة الجديدة وكانوا يرتدون السراويل الضيقة.

بين شاعرية البحتري وحكمة المتنبي وابي تمام

بقلم نسيم نصر

استاذ الادب العربي بالكلية الوطنية بالشويفات

هذه واحدة من تلك الامالي* التي تدفعنا الحاجة الى ارسالها في مجالي الكلام الدراسي على ما يعرض لنا من تلك « المسكوكات » التي بثت هنا وهناك في المؤلفات التي نأخذ عنها تصاميم بناء كلا منا على ادباء العرب وانجاتنا في قيم انتاجهم، وخاصة في مناهج الادب المدرسي .

وامليتنا هذه تتناول قولهم :

« البحتري هو الشاعر بين شعراء العرب واما المتنبي وابو تمام فهما حكيمان . »

عاش العرب ازمنة طويلة وهم ينظمون الشعر غناء يغلب عليه الطبع ويوشك ان يقتصر على التعبير عن منازعهم وحب الاتهم وعواطفهم ، وقد يكون احياناً مذكرة شاعر يجمع فيها حوادثه البارزة وشؤونه الخاصة . وعلى اساس هذه الغنائية المحدودة قسا بعض المؤرخين والرواة فسموا من عني بتهذيب شعره وتنخل الفاظه كزهير وابنه كعب والحطيئة « عبيد الشعر » الى ان كان العهد العباسي فحلق البيان العربي في جو طلع فيه الشعراء طلوعاً جديداً تشع فيه الصورة الرائعة وتسانده الفكرة المدروسة . فاخذ الناظرون في الشعر العربي يصنفونه تصنيفاً فيه كثير من الجدة المثقفة فبدأوا يحسون ان الشعر مجلى للخيال اكثر منه مسرحاً للفكر او مجموعة لمناسبات الحياة الخاصة .

واستناداً الى ان العرب شرعوا ، بعد تلقح اديهم بمذاهب البيان في الامم التي سبقتهم الى الحضارة ، يطالبون الشاعر باسمى مما كان يطالبه به اسلافهم ، وعلق في افهامهم ان المدى الشعري ارحب مما قاسوه لهوجدوه فيه وان للبيت المقفى نسجاً غير ما الفوه . انهم اذاً مالوا الى الخيال المجنح والصورة الموشحة والعبارة المصفاة .

ولئن كان المتنبي قد مثل في شعره جانباً عظيما من وقائع الحياة التي شهدها او تخيلها وأخذ بشخصية سيف الدولة فاطل به على جو الملحمة ولكنه لم يسم اليها ، ولئن كان ابو تمام قد روض البيت الشعري العربي ليجعله مسبكاً للفلسفة المقتبسة عن اليونان وغيرهم من اجداد الفكر العالمي، فانهما على عظمة ما بلغاه من سمو الشاعرية وعلى الرغم مما وصلا اليه في عرض الصورة ، يبدو ان ، والحكمة غلفت ما نظماه ، فرجحت في ديوانيهما كفة الفكرة على كفة الخيال ، فلم يبلغا المرتقى الذي انتهى اليه البحتري . وان موازنة مقتضبة ، نستعرض فيها يسيراً من منظوم الشعراء الثلاثة ، توضح لنا صحة ما دخلنا في بحثه الى حد ما .

توشك ان تنحصر روائع ابي تمام في الرثاء والمديح وتكاد شاعرية المتنبي في ذروتها ، ان تقتصر على مدح سيف الدولة، امير بني حمدان ، وفي مجموع ما خلف الشاعران ، الطائي وابو الطيب غمر من الحكمة ناتج عن اعتاد الفكر عاملاً شاملاً شعرهما، وذلك الغمر الحكيم يوحي الى القاري الدارس ان مهمة العقل جاءت طاغية على كل ما ادياه في رسالتها الشعرية . وان بدت الصورة في بعض قصائدهما جلية رائعة فهي مسانيد مقتضبة لا تلتحم اجزاؤها في سياق موحد ، فلا يتراءى لك المعنى المشبع بالصورة الماثلة في خيال الشاعر مثلما يبدو لك ذلك في اكثر قصائد البحتري ، الذي تنزل الفكرة فيه ، او بالاحرى مهمة العقل ، عن ان تكون المسيطرة لتبدو اصابع الخيال تنسج البيت ، فالقصيدة متراصة الاجزاء مؤتلفة الاوصال كانها لوحة زيتية اخرجتها ريشة رسام مفتن لا يراعة شاعر ناظم .

قال ابو تمام في وصف القلم :

لك القلم الأعلى الذي بشباته	تصاب من الامر الكلى والمفاصلُ
لعاب الافاعي القاتلات لعابه	وأري الجنى اشتارته ايدٍ عواسل

* سيوالي الاستاذ الكاتب نشر سلسلة هذه الامالي التي طلب الينا الكثيرون من طلاب البكالوريا نشرها في « الاديب ».

له ربقة طلّ ولكنّ وقعها   بآثاره في الشرق والغرب وابل
فصيح اذا استنطقته وهو راكب   واعجم ان خاطبته وهو راجل
اذا ما امتطى الخمس اللطاف وافرغت عليه شعاب الفكر وهي حوافل
أطاعته أطراف القنا وتقوّضت   لنجواه تقويض الخيام الجحافل
اذا استغزر الذهن الذكيّ واقبلت   أعاليه في القرطاس وهي اسافل
وقد رفدته الخنصران وسدّدت   ثلاث نواحيه الثلاث الانامل
رايت جليلاً شأنه وهو مرهف   ضنى وسميناً خطبه وهو ناحل

وعلى الرغم من ان هذا المقطع هو من افضل ما توفق اليه ابو تمام في معرض التصوير فانك لا تحس التلاحم الفني في اجزائه، ففي البيت الرابع مثلاً ، لغز يبتر التمثل ويؤذي الخيال ، هذا ، اذا لم يجز لنا القول ان البيت الثاني ، وهو بيت القصيد الرائع في جمع الصفة لاقلام العظماء، لا يقع موقعه الحسن في عين التبصير بخصائص الشعر الوصفي المنسجم السياق ، فكأنه في فنه البياني ، بين البيتين الاول والثالث ، قطعة من ذهب بين فكي جائع .

والمتنبي مثل هذا التصوير الجميل المتقطع كثير ، يختلف في تصنيفه في مراتب الوصف ، كما حدث للدكتورين طه حسين وادهم ولكنه لا مجال للخلاف في ان صور ابي الطيب ، على ما فيها من اجتزاء ، غنية بوثبات الشاعرية نحو اجواء الخيال تسترفده لعون في ابراز الفكر موشاة بالصور ، فاسمعه يقول في ممدوحه :

هو البحر غص فيه اذا كان هادئاً   على الدر واحذره اذا كان مزبدا
فاني رايت البحر يعثر بالفتى   وهذا الذي يأتي الفتى متعمدا

ولعل هذين البيتين من شعر المتنبي لا يصلحان ان يكونا شاهداً على الصورة اللاجئة الى الفكرة، فتعال معي الى ميميته التي لا جدال في انها اعلى ما وصل اليه هذا الشاعر في عرض الخيال للعين قال فيها :

اتوك يجرون الحديد كأنما   سروا بجياد ما لهنّ قوائم
اذا برقوا لم تعرف البيض منهم،   ثيابهم من مثلها ، والعمائم
خميس، بشرق الارض والغرب زحفه، وفي اذن الجوزاء، منه، زمازم
تجمّع فيه كل لسن وامة   فما يفهم الحداث الا التراجم
فلله وقت ذوّب الغش ناره   فلم يبق الا صارم او ضبارم

فانت ترى ، على قيمة ما قدمنا من رائع الوصف لا يعلو شعر احد الحكيمين ، ابي الطيب وابي تمام ، من حيث الفن في دقة الوصف وترابطه ، الى مثل قول البحتري في موكب المتوكل يوم عيد الفطر :

اظهرت عز الملك فيه بجحفل   لجب يحاط لدين فيه وينصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت   عُددا يسير بها العديد الاكثر
فالخيل تصهل والفوارس تدّعي   والبيض تلمع والاسنة تزهر
والارض خاشعة تميد بثقلها   والجو معتكر الجوانب اغبر
والشمس مائتة توقد في الضحى   طورا ويطفئها العجاج الاكدر

حتى طلعت بضوء وجهك فانجلت   تلك الدجى وانجاب ذاك العثير
وافتن فيك الناظرون فاصبع   يُومَا اليك بها وعين تنظر

وهكذا تنمو الصورة في سياق متلاحم الى آخر القصيدة ، فكأن قصيدة البحتري صورة مكبرة موحدة الاجزاء واضحة العرض ، في حين ان الصورة ، ان وجدت جلية في شعري الطائي والمتنبي ، فالقصيدة اطار لصور متوزعة تلمها القافية الموحدة .

وقد عرضنا في شعر البحتري ما يأتلف وطريقة صاحبيه في الاغراق المدحي ، اما اذا بلغت منه وصف بركة المتوكل او ايوان كسرى شعرت ان كل سمة من سمات الشعر تسير وراء الصورة في موكب الخيال المبدع الذي يتقصى مكامن الحياة في اخراج الوصف الفني .

فاسمعه يمدح المتوكل فيطغى وصف البركة على المديح :

يا من راى البركة الحسناء رؤيتها   . . . .

الى ان يقول :

تنصبُّ فيها وفود الماء معجلة ،   كالخيل جارية من حبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة   من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا ، ابدت لها حبكاً   مثل الجواشن مصقولاً حواشيها
فحاجب الشمس احياناً يضاحكها   وريّق الغيث، احياناً ، يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها   ليلاً حسبت سماء ركّبت فيها

اما وصف الايوان فهو ايوان الفن في رواء الوصف الرائع ودقته وحسن ديباجته تذوب فيه البلاغة ذوباً لتحلي بمعدنها النفيس، هذه السين التي قل ان كانت قافية موفقة في غير سينية البحتري ، التي منها :

« فاذا ما بلغت صورة انطاكية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا مواثل وانو شروان يزجي الصفوف تحت الدرفس
في اخضرار من اللباس على اصفر يختال في صبيغة ورس
وعراك الرجال بين يديه ، في خفوت منهم واغماض جرس
من مشيح يهوي بعامل رمح ، ومُليح من السنان بترس
تصف العين انهم جد احياء لهم ، بينهم ، اشارة خرس
يغتلي فيهم ارتيابي حتى تتقراهم يداي بلمس »

وخلاصة القول ، ان ابا تمام والمتنبي من اعلام الشعر العربي ، والثاني منهما اكثر شعراء العربية ذيوع قافية في الناس وربما كان افضلهم قيمة شعر ، اذا انزلنا الشعر الى ساحة الحياة في « مسكوكات » نتداولها تداول النقد المالي ، ولكن دارس الفن الشعري لا يضع ، في العربية، الى جانب البحتري في تألق اللوحات الوصفية ، غير منافسه الحقيقي ابن الرومي .

نسيم نصر

بيزيه

صفحة من حياة كبار الفنانين

بقلم صميم شريف

جورج

بيزيه Bizet نابغة فاشل، وعبقري مغمور، وبطل من اولئك الابطال الذين حطمهم فنهم، وصرعتهم عبقريتهم . كان فقيراً غاية الفقر، بائساً تعيساً ، حطمته الاقلام التي نقدته، ورفعته هذه الاقلام نفسها فيما بعد الى القمة والمجد والخلود.

ولد في باريز عام ١٨٣٨ من ابوين فقيرين رقيقي الحـال ، يمتهنان الموسيقى في سبيل العيش ، فقد كان ابوه يـدرس النوته الغنائية Solfège تساعده في ذلك زوجه الفنانة التي كانت تجيد العزف على البيان ، والتي كانت تنسخ له الدروس المطلوبة منه لتلاميذه .

وترعرع جورج ونشأ في جو مشبع بروح الفن والغناء لا يطرق سمعه فيه سوى العزف على الكمان ، والضرب على البيان (بيانو) فتاقت نفسه الى تعلم ذلك وهو بعد لا يجيد لفظ لغة امه وابيه .

ورأت والدته فيه ميله الفني المبكر ، واصغاءه التام اليها كلما شدت او عزفت ، فعزمت على تلقينه دروساً موسيقية بجـانب دروسه الابتدائية الاولى في المدرسة ، واخذت تلقنـه الدروس الاولية في النغمات الموسيقية البسيطة وتسقيه مع زوجها من ينبوع هذا الفن الرفيع الذي لا نهاية له حتى بلغ التاسعة من عمره، فاصبح ولاهمّ للناسَ في باريز الا التندر والتحدث عن هذا العبقري الصغير التائه في غمار هذه المدينة العظيمة التي يتقاذفه تيارها . وقد سهلت شهرته التي اضحت مدار حديث اهل باريز ، والمـامه الواسع في الموسيقى قبوله بالكونسرفاتوار الباريزي ، رغم حـداثة سنه واشرف على تدريسه بالمعهد المذكور الاستاذ (مارمنتيل) فكان له عليه فضل كبير في تنمية مواهبه وتوجيهها واستطاع في الثانية عشرة من عمره ان ينال جائزة وضع الاصطحاب[1] « الهارموني » المنوع لجميع الآلات الموسيقية التي تعزف بها فرقة سيمفونية ممـا جعل اقرانه وحساده يلقبونه بالطفل العجيب وغلب هذا اللقب على اسمه الحقيقي فيما بعد فصار الناس لا يعرفونه الا به .

وفي العشرين من عمره نال جائزة روما الموسيقية لعام ١٨٥٧ فملأ صيته الاصقاع البعيدة والقريبة ، وعلى الرغم عن مقدرة بيزيه الفنية ، واعتداده بنفسه اعتداداً قوياً ، واسرافه الشديد في تقدير ملكات العبقرية التي تغمر كيانه ، فانه حين استدعته الهيئات الفنية المعاهد العالية في روما للدراسة على نفقتها ، لبى دعوتها ورحـل اليها ، تصحبه آماله العظيمة .

على انه لم يمكث زمناً طويلاً بروما حين علم بوفـاة امه بعد ابيه ، فصعقته هذه الكارثة ، وهدمت آماله في الحياة ، فكره روما موطن الفن والفنانين كرهاً شديداً ، وبات ذكرها بغيضاً الى نفسه ، فعاد الى مسقط رأسه ، يحمل همومه وآلامه التي يزخر بها صدره .

ولبث زمناً لا يفارق قبر امه ، وتنبه اخيراً الى نفسه ، فوجد جيبه خاوياً من المال ، كما ان والديه تركاه لرحمة الاقدار ، فبدأ يفكر للمرة الاولى في حياته بالعمل لكسب الرزق . فقـاده تفكيره الى امتهان العزف في احدى الصالات التي تعج بها باريز ، كما ساقته قدماه الى اكثر دور المسارح الراقية التي كانت تهزأ منه وتقفل ابوابها في وجهه ، واخيراً حطت به الرحـال في احط بؤر الفساد. هناك وجد نفسه يحتسي قدحاً من الجعة ويطلب عملاً كعازف (بيان) ماهر .

(١) الكلمة لفقيد الشعر وعلم الموسيقى اسكندر شلفون

وهكذا بدأت العبقرية عملها في حانة من اقذر الحانات، واحطها فسادا. كما بدأ يغرق احزانه وهمومه في احتساء الخمر ومصاحبة الحسان المومسات محاولا بذلك نسيان الماضي، ذلك الماضي الذي نال به المجد الزائف. وأخذ يعمل في ملاهي باريز وحاناتها دون ان يستقر في مكان معين. لقد وقف نشاطه او كاد، واصبح لا يقضي راحته الوقتية الا في المشارب يشبع جوفه منها وفي احضان الغواني يسكت غرائزه الحيوانية الثائرة، وهكذا بدأت فترة من حياته ازدادت بها آلامه التي اعتقد ان جراحه بها ستندمل.

وكان يحس ويشعر بنفسه بانه خلق ليكون ماجنا جبارا، وموسيقيا فذا، لقد بدأ اعتداده بنفسه يراوده الآن، لقد ايقن ان فنه يذهب هدرا في هذه الملاهي الرخيصة، واخذ الامل العذب يداعبه حتى انكب يؤلف الحانا رائعة لا عهد له بها. فعم انتشارها وصار اهل باريز يتغنون بها ويطربون لها وكانت اشهر قطعه وقتذاك (فتاة برث الجميلة وصيادي اللؤلؤ والارلزين). وقد يسرت له هذه القطع وغيرها مالا استطاع ان يعيش به دون ان يلجأ الى العمل ثانية، اللهم الا ذلك العمل الذي سطع في روحه نورا يضيء في نفسه الهامات النبوغ الكامن، لقد اخذ في تلحين غنائية[2] «اوبرا» كارمن.

استلهم الكاتبان الشهيران ملهاك وهالفي موضوع هذه المسرحية الغنائية من قصة مشهورة رائعة للكاتب الكبير بروسبير ميريميه وخلاصة هذه المسرحية، ان امرأة ماجنة تدعى كارمن يقع في هواها ضابط شاب، فيفضل غرامها وحبها الفاسق، على واجبه العسكري، حين يدعى للذود عن حياض الوطن.

انصرف بيزيه الى تلحين هذه الغنائية تلحينا صاخبا يتفق وروح القصة التي تدور حولها، تلحينا جبارا كان يعبر به عن كل خلجة من خلجات روحه، وكل جارحة من جوارح نفسه. فانطبعت روحه الثائرة بذلك الطابع الذي يجب ان تكون فيه كارمن فكانت مسرحيته الابداع والتجديد والروعة.

كان مسرح الاوبرا كوميك مشهورا بين رواده من اهل باريز، بتقديمه القصص المسرحية الغنائية التي تسمو بها روح الفضيلة والاخلاق فكانت المسرحيات الغنائية التي تعرض بها بسيطة تبحث في نواحي الجمال والخير والحب العذري الضعيف الذي ينتهي عادة بالفراق والالم والعهد والاخلاص، فكان الطابع الاخلاقي لا يفارق هاته المواضيع ويسيطر عليها ابدا.

وكانت موسيقى هذه المسرحيات على وتيرة واحدة تلائم حوادثها فيخرج المستمعون منها قانعين بالتافه الذي يسمعونه، وبذلك الحيز الضيق من الانغام التي تسمح بها المسرحية. الى ان ظهرت غنائية كارمن، فضج لها العالم وأثارت النقاد الذين لوحوا بأقلامهم في وجه بيزيه، فكانوا وبالا عليه وعلى نفحات نبوغه.

كان بيزيه يعتقد حين وضع الحانه السماوية لهذه القصة الشاذة، ان الفن لا يدين برذيلة او فضيلة، انما يدين بالتعبير التام عن موضوع من الموضوعات المختلفة الانواع والاتجاهات، ولقد احس في اجوائه، وهو يكتب موضوعه هذا، صخبا وثورة ورغبات وقوة تقوده لتخرجه من تلك التقاليد البالية التي وقفت حائلا في سبيل تقدم الفن.

مثلت اوبرا كارمن واخرجت للمرة الاولى في الثالث من آذار سنة ١٨٧٥ فكانت الروعة المجسمة، والانغام الاخاذة، والتصوير المركز، والشدو الساحر، مما جعل لهذه الاوبرا مكانتها العالية بين سائر الاوبرات العالمية.

لقد كانت هذه التمثيلية تخدش كيان الفضيلة، وتشجع على الرذيلة، لقد استمع النظارة الى النهاية، فلم يتملكهم السأم، ولم يشعروا بالملل، وان احسوا اشمئزازا من موضوعها الشاذ. لقد سحرتهم الموسيقى الرائعة، والغناء العذب المتجاوب لروح بيزيه ولكنهم لم يتمكنوا من التعبير عن اعجابهم، لانهم لم يدركوا وقتذاك حقيقتها ولم يتوغلوا في اعماقها.

وفي اليوم التالي فر بيزيه الى بوجيفال هاربا من الصحف التي هاجمت اوبراه بلاذع النقد، وقارص الكلام، فر وقد اعتزم اعتزال الموسيقى نهائيا، لقد كانت كارمن عنده كل شيء، لقد بنى عليها قصور احلامه التي تدهورت وتهدمت بفشلها. على انه قدر لهذه الغنائية فيما بعد ان تحتل مكانتها في الصدارة بين الاوبرات. اذ استمرت دار الاوبرا كوميك على عرضها، ضاربة برأي الصحف والنقاد عرض الحائط، فاقبل عليها الناس يستمعون اليها من جديد بشغف ولذة. ولكن بعد ان اودى مؤلفها الفذ.

توفي جورج بيزيه في بوجيفال في اليوم الثاني من شهر حزيران سنة ١٨٧٥ في نفس اليوم الذي كانت تعرض فيه غنائيته للمرة الثالثة والثلاثين. لقد مات بيزيه عن ستة وثلاثين عاما حافلة بضروب الهوان والبؤس والمجد. مات معذبا بغنائيته الفاشلة التي يستغرق عرضها او الاستماع اليها ساعتين ونصف.

واليوم تنحني الهامات اجلالا واكبارا امام قبر هذا النابغة في مقبرة « بير لاشيز » في باريس.

دمشق — صميم شريف

(٢) الكلمة لاسكندر شلفون

ضياء

صورة وصفية

●

يسمونها ضياء او ما يشبه الضياء ، لانها فتاة متوهجة ملتمعة أخاذة . خداعة لانها تظهر غير ما تبطن، او لانها مكرهة وفق ناموس الدنيا على ان توحي للمرء غير ما هي عليه فعلاً وحقاً .

كلما رأيتها، قلت : حقاً ما أكذب المظاهر وما اضل الوجوه . فقد يبدو الوجه صبوحاً ، ولكن الاحشاء تفتتها الآلام المسرة ، وقد تكون صفحة المحيا ذات جهامة ولكن النفس رضيّة والقلب عامر بالايمان والروح خفاقة اما في تثاقل ، واما في سرعة وابتسار .

«ضياء» فتاة حلوة ، حلوة الشمائل، لا تكاد تعرفها حتى تشغف بها حباً لانها تعرف طريق القلوب فتأسرها ، وتعرف الدروب المفضية الى خلجات النفس فتسلكها وتطرق الابواب طرقاً خفيفاً .

أبرز ما فيها كبرياء يخجل امامه كبرياء ذي الرتب والالقاب . فهي لمن يبادلها أول النظرات فتاة ذات صلف ، أحاطت نفسها بسياج كثيف من الهيبة والوقار . ولن تستطيع ان تقاوم شخصيتها ذات الطغيان لانها تفرض هيمنة عليك وتحتم ان تمنحها الاحترام سخياً . ولكن اذا تاح لك ان تجالسها ، وتطارحها الحديث ، فأنت لا مشاحة مأخوذ بعقلها الراجح ، وأنت لا ريب واجد ان ستارة الكبرياء المسدلة بدأت تنداح، وأن الفتاة التي تجالسها ودود متواضعة حية انيسة لطيفة المعشر .

ولعل مظهر المستأسد مستمد من اصولها الشركسية ، فهي ترتد في أعراقها الى قوم من الشراكسة ، ولكنها في الوقت عينه نائية النأي كله عن عنجهية النفس والروح . وما هاته الكبرياء المصطنعة الا وقاء من الاذى ، والحياة عامرة بصنوف من الاذى وصنوف .

لو اقتصرت الفتنة على فتنة الوجه، لامحلت من كل فتنة وأجدبت من كل مسحة جمال . ولكن الفتنة كثيرا ما تكون مضمرة لا تبين الا للآلي يعرفون كيف يغوصون وراءها ، وكيف يستخلصونها من شوائب أدران الحياة . فهي في هذا كركاز الذهب ، يغر الرائي لاول وهلة فيحسبه حديدا أو كسا مهملاً، ولكن الخبير المتأصل المتمكن يعرف كيف يستنبط الجوهرة من الوحل ، وكيف ينتشل الابريز المصفى من الادران العالقة به .

ولو كانت أحكام العين صادقة، لبدلت اعراف الدنيا ونواميسها ، لان مثل « ضياء » تشول كفتها ، بينا غيرها ممن أوتين ألحاظاً وجاذبية يجدن انفسهن راجحات كثيرات الود مخطوبات الصداقة . ومن نعم الفلسفة أنها نسخت أحكام العين ، ونعتتها بالكذب والتضليل بله النفاق ، وقالت بعدم التعويل على مرأى البصر ، وايثار البصيرة عليه في كل شأن من شؤون الكون .

كل من عرف « ضياء » منحها مع الحب تقديره ووداده وعطفه .

وكل من التقى بها لقاء غير عابر ، صافحها لا بيد مرتعشة ذليلة ، بل بقلب شديد النبض سريع الضرب .

وكل من تاح له ان يعرف ضياء عن قرب، زاد لها تقديرا ، وهفا اليها كما يهفو الطير الظامىء الى جدول رقراق منساب .

وكل من يدع الابتسار جانباً ، وينظر الى الانسان نظرة جد وتدقيق، يدرك ان ما سلبتها الطبيعة اياه في الظاهر ، عوضته لها في الباطن تعويضاً مكفول السخاء .

ان ضياء تمثل المثل العليا، وقد لا تجد تلك المثل انصارا ومريدين .

وان ضياء تشير بسبابتها الى الفضائل الخلقية المترفعة ، ولكن النفوس في الاغلب تنحدر الى ميول دنيا .

وان ضياء هي الحنان مجسماً، والرقة سيالة، والليونة الكريمة اللماعة . ومن شاء ان يعرفها، فليرقب كيف تحدب على المرضى اذا طرأ على احدهم ما يسلبه رشاد صحته، وليتأمل رقتها في المعاملة والمسايرة ، تلك الرقة التي تضفيها على الحيوان الاليف ان تعذر عليها ان تمنحها لاحد من بني الاناسي .

وان ضياء ذات ضمير حي يقظ لا يغفو ، الا تراها اذا قالت مُلحة وخشيت ان تصيب أحدا بسوء، عمدت الى الاعتذار وألحّت فيه . وما ذلك الا لانها فتاة تتأثر سريعاً، كلمة مستملحة تكسبك اياها ، وكلمة مستقبحة تنفّرك منها .

ثم انها صريحة مع من تعرفهم ، متحفظة مع من يعبرون الطريق بمشهد منها ، فليست تعرف الوجهين، وليست تقول ما لا تريد او تفوه بما غيرها يريده لها . وهي في هذا تجاهر الحياة بما عندها، ولكن العكس قد لا يكون صواباً .

كلما رأيتها ذكرت مقالة الصديق الراحل خليل مطران بك :

> ما يُرجّى من مشهدي او مغيبي
> ومكاني الا من الطيف خالي .

فكان « ضياء » الا من الطيف خال لانها ضامرة معروقة لا يكاد المرء يفطن الى النفس الكبيرة التي تختبىء وراءها . وكثيرا ما تفكهت معها فقلت لها : «انك ميكروسكوبية يا ضياء» فكان جوابها : ومتى كان الناس يوزنون بميزان أثقالهم ، وانه لقول مصداق ، لان السيارات المترفة والقصور الباذخة قد لا تضم سوى أشلاء لا تترابط الا بمال متوارث او جاه تداعى عليها من أجيال ، او تجارة كاسبة في بضاعة خاسرة .

هذه لمحة من لمحات « ضياء » يخدعك المظهر فتنفر منها قائلا : يا لها من كبرياء عقوتة مجسمة .

ولكنك اذا عرفت المخبر، قلت : بل يا لها من آية من آيات الاتضاع ، ويا لها من فتنة سالبة للب .

القاهرة **وديع فلسطين**

وحي الدموع

الى الشاعرة فدوى طوقان بمناسبة قصيدتها الاخيرة «خريف ومساء»

مشى الى القبر مضنى القلب داميه ... وللدموع انحباس في مآقيه
وراح يسقي تراباً طيباً عطراً ... وود لو انه عيسى فيحييه
بكى طويلاً الى ان جف مدمعه ... وبح صوت له سورة الايه
وراعه الافق محموماً ومضطرباً ... والغيم حيران يجري كالاتاويه
والريح تعبث في الاغراس مغضبة ... فتأخذ السرو في عنف وتلاويه
لم تُبق غصناً رطيباً في نضارته ... الا وعرته او كادت تعريه
مشت تجر صريع النبت صاخبة ... وتملأ الجو من اشلاء ذاويه
والبرق يرمح في الاجواء مضطربا ... كخائف احدقت فيه اعاديه
تملك الذعر قلب الكون اجمعه ... كأنما الدهر قد ثارت عواديه
فقام يعثر في اذيال خيبته ... وراح يبكي مع الدنيا امانيه

• مضى الشتاء وعاد الروض مبتسما ... وللفراشات رقص في حواشيه
واخضوضر الغصن وافترت براعمه ... والطير نشوان يشدو في اعاليه
رأى بعينيه دنيا روعة بعثت ... فحركت منه اشواقاً لماضيه
وقد تراءت له ليلى فهش لها ... وراح يذكر دنيا من لياليه
فسار للقبر كالمجنون يحمل في ... يمينه الورد «للمحبوب» يهديه
فابصر الزهر* ينمو فوق تربته ... وفيه من ثغرها البسام ما فيه
كأنما علمت في امر زائرها ... فهيأت ضمة كيما تلاقيه
فقبّل الزهر حتى افتر برعمه ... للدفء وانشق عن دنيا مغانيه
وعاد للكون في عينيه رونقه ... كأنما الدمع معنى من معانيه

وديع ديب

جان دوفال

«لا تتحركي. لئلا تتحرك الخطوط» بودلير

هدوءاً، هدوءاً. فهذا الفضاء ... يسكنه شيطان ما اشتهي
وماذا يبقّي لك هذا الحياء ... غير الذي لا بد ان ينتهي
من نارك السوداء نبع الضيا ... يذوب في ثلجي، فلا تلتهي.
صه! فرجع الروح يغري الغناء ... طفل الهوى في لحنه يزدهي
ونغمة الروح بذكرى الرجاء ... انت لها .. اصغاءة الابله

بغداد **طه العبيدي**

* وكان من بخور مريم وهو زهر بري لطيف المنظر

عيون

مرفوعة الى ن. ش.

يا حلوتي أي افق ... عذب الاسارير، طلق
يضيء في مقلتيك ... صحواً، واجواء شوق.
الوانه تائهات ... ما بين خضر وزرق
حدائق ناضرات ... من كل شكل ونسق
كأنما البدر فيها ... يحوك تيهاً، ويلقي..
وفي مداها معابد ... توحي وتسبي وتشقي
لوحات فن نبيل ... زاه، واسرار عمق
وامنيات وصال ... عال، وتذكار عشق.
فيا ربيع بلادي ... نوّر هنالك .. واسق
ويا نسيمات رفي ... على المروج .. ورقي
ويا زمرد شعشع ... من الشموس .. برفق
ففي فؤادي سماء ... هيمى، واجواء شوق.

دمشق **كمال فوزي الشرابي**

ظل باهت

سرحي عينيك عبر الظلم ... وانفضي عنك ذهول الحلم،
واكتمي لهفة قلب ظامىء ... يترجى خادعات السديم
لا تقولي: «انا اهواك.» فما ... عاد للحب، انبثاق في دمي.
كان لي بين الحنايا، جذوة ... اخمدتها عاصفات الالم!
كم سكبت الشوق في اغنية ... لم يرتلها فم غير فمي!
وروى دمعي اغراس الهوى ... فجنت كفي ثمار الندم!
وتبعت الوهم حتى هدني ... ألم المسعى، وأدمى قدمي.
فتشردت كطفل باهت ... في متاهات الوجود المبهم
حاملاً، بين ضلوعي، كومة ... من أمان، وبقايا حطم..
ترحف الذكرى عليها مثلما ... ترحف الديدان فوق الرمم!

بغداد **رشيد ياسين**

قلت لي

الى م. ن.

قلت لي غادتي! عروس الضياء! ... يوم كنا على الهضاب النوائي

تمتطي الليل وابتسامك فجر ! والحلى : الطهر، والعفاف ردائي
انت يا خالدي بكف المعالي : مرقم الحق ! . صارم ذو مضاء !
انت لي ذو رسالة لا تضاهى خطها الوحي في جبين البقاء !!
بوحة الناي والاصيل عليه القت الشمس معطفاً من بهاء !
صدحة الطير والصباح ندي بالاماني عابق بالرجاء !!
قلت لي : لست للسياسة لكن انت للفن . للهوى . . للغناء !
للقريض الذي يفجره القلب ويُروى مضمخاً بالدماء !!
قلت لي والوجود مصغ الينا في سكون، في دهشة وحياء ! :
انت في غربة عن الارض مثلي! انت في مطمحي وفي كبريائي!
طالما شاقني استماع صلاة منك في همسها استمعت دعائي!
طالما راعني بعينيك معنى فيه معناي حالياً بالضياء !
ما ترى الارض ؟! ما المطامع ؟! ما النعماء ؟! ما ازدهار الثراء ؟!
كل اشيائها سراب بعينيك وعيني ! . . . خدعة الاغبياء !!
انت من عالم توشح بالصمت مهيباً ! وحكمة الانبياء !!
قلت لي : شاعري ! ودنياك قامت في البعيد البعيد ! عبر الفضاء !
ان يحل بيننا بنو الارض اني سوف القاك في رحاب السماء !!

بولس اسعد الشرتوني

ثغر

●

أثغرك ورد ولا اللثم ودن نبيذ ولا اغرم
تحار العيون بتكوينه وكم من حنين بها يكتم
ففي كل عين يطول السؤال وفي كل نفس صدى مبهم
يحوم الفراش ليحظى به ويُسقى الرحيق الذي يحلم
يرد بعيداً كليل الجناح فيمضي حزيناً ويستفهم
اما للفراش شفاه الورود تحط عليها ولا تحرم . . ؟
تجيب الشفاه انا ملثم وان احمراري هذا الدم
ولست وروداً أرى هكذا فكم قد غويت وكم الهم

دمشق عمر حلبي

صرخة

●

أسيرك (ليلى) ساهر ليس يهجع يردد انغام الهوى ويرجّعُ
مقيم على البلوى فليس انينه سوى صرخة الاحشاء وهي تقطع
تعاوده الذكرى فيهتز لوعة ولا عجب فالذكريات تلوع
ويرسل من آماقه الجمر دمعة يموج الاسى في كنهها والتوجع
تمرد في خفاقه الصبر ثائراً فضاق به ذرعاً شغاف واضلع
يراقب مسرى البدر حيران ساهماً وفي عينه بدر الصبابة يسطع
خبا وميض الشباب في طرفه الناحبِ
وأينع الاكتئاب في وجهه الشاحب
أيا ليل ها اني كمتك واثقاً بان الاسى بيني وبينك يجمعُ
اليك شكاتي والانين فانني نظمتها شعراً قوافيه تدمع
شدوت به والكون ضج ضجيجه يزمجر هداراً فهل انت تسمع ؟
فللموجة السوداء في حلكة الدجى زئير يهد الراسيات مروع
تغير على الصلب الجمود بقسوة فترجع عنه وهو هاو مصدع
شدوت برغم العاصفات ففي الحشا عواصف اشجان اشد وأوجع
يا ليل لا استريح من شقوتي والالمْ
وحول قلبي الجريح يحوم طير العدم

بغداد حسين حاتم الكرخي

خيبة

●

صور الامس التي لونتها . . برؤى نفسي . والوان سرابي
قد تلاشت من خيالي وخبا نورها الطفل على افق شبابي؟
يا حبيبي ! اين آمال الهوى فوق ثغرينا كازهار الروابي
أين قلبانا يرفان على دوحة الحب . وافنان التصابي
يسكبان النغم الصافي به حرقة البوح . وتبريح العذاب!
اين صرح لهوانا شدته خلف دنيا الناس شعري القباب
فوقه عرشت بالورد . . له عبق الفجر . . والوان الغياب؟
ـماد صرح الحب وانهار بنا مثلما تنهار اكداس الضباب!

فؤاد الحسن

عاشقة الزهر

●

ذكرتك في الحقل عند الصباح فأدركت سر ابتسام الزهر
فلولاك ما افتر ثغر الزهور ولا غازلت في رباها القمر
ولا حلمت بطيوف الرؤى ولا رفرفت لنسيم السحر
ولولاك ما شرقت بالندى ولا ضاحكت ثغر هذا النهر
خطرت فهامت بسر الجمال وجنّت به فاختفى واستتر
تحدث عن حبها البلبل

فقص على الطير اخبارهـا
واصغى الى همسهـا الجدول
فأفضى الى النهر اسرارهـا

القطيف - البحرين — محمد سعيد المسلم

الى زهــرة

•

يا زهرة، ريانــة بالنــدى ترف، في اجواء طهر، فساح
في عزلة، عن كل ما حولها، مارف، لولا الطهر، منها جناح
تظل بالاشذاء فواحــة، لكنها، عذراء، لما تباح
يا زهرة !! في اسفل المنحنى، مخبوءة عن عاصفات الرياح
يحنو عليك النجم، في ليله، ويحتويك النور، عند الصباح
ان ضل عنك الناس، في دربهم، فالناس، لا يهوون، غير الصياح
يا زهرة !! نامية في ثرى، ذراته، من قلبي المستباح
سُقيت من عيني الدموع التي، صعدها القلب، فكانت نواح
رفي !! وهلي !! بالشذا، واعبقي !! الطيب، مثل الحب، شيء مباح

طرابلس — محمود عيسى

زامر الحي

•

كيف كان ؟
انه شيء عجيب ؟؟
يصنع الارواح في دنياه من صمت الطلول
ويسوق الافق في اذيال احـلام تجول
ويهز الليل في انحـاء امجاد تدول
ويهيج الناس من شوق الى شوق يطول
ويلف الماضي الرحب مع الغيب الرهيب
ويغنى.. ليت شعري مثل هذا ما يقول؟!
لم اكن اعرف عنه انه يو ماً ليصبو صبوات خالدات
لا ولا كنت اراه ذات يوم انسيرعى في طريق خطوات
ولقد كان وديعاً، همه في جانب العيش بقايا ذاهبات
يصحب الايام في رفق ويرضى من موائدها باحدى الاغنيات
وهواه حيث لا تلقـاه الا وحده يشدو، وفي اي الجهات
عشق المجد تهاويلاً من الوحشة والليل .. وكانت صبوات
فارتمى في خاطر الريف حياة اين منهـا يا الهي حيوات

من أبوه ؟ !
قيل لي لا ام له ..
انما كان وليد الليل في احدى العواصف
حملته رغبات العيش مسحور اللفـائف
وغذته همهمات الافق البان المعـارف
ورعته رعشات الحس في اوهام خائف
حتى اذا امتدت يداه للطبيعة دله
ألق من الماضي تساقط دونه والظل وارف
هو شاعر لكن يحاول ان يؤلـف ناسه في فكرة متجردة
ومفلسف لكن يحاول ان يصوغ من الحياة حقـائقاً متعددة
ومنغم لكن بألفاظ تدل على معـان في نهاه ممددة
هو فكرة رقصت لتثبت ان ثمـة رقصة للفكرة المتجددة
عرف الحياة فعـاشها نغماً تمرد في وجود الغنوة المتمردة
وصبا ليدرك من كيـان الناس لحناً عبقرياً كان صمتاً ردده
هو وحده الريف السعيد وروعة الاحلام في الشط البعيد مغردة

في العشية ..
بعدما عاد الرعاة ..
خلت اني اسمع الارواح تعمـل غنوة
فتأملت رهيف السمع اخفي نشوة
فاذا صوت لطيف يتهـادى، صبوة
واذا روح مريد يتنزي قوة
صوت الكون تعرى حول اجفان الاله
يعمل الزامر عنهـا اغنيـات حلوة
وحواليه رعاة الحي ما بين فتى صب وكهل ذاكر
وحواليه صبايا الحي يسمر ن حيارى همهمات الساحر
وحواليه من الحي قلوب في هوى الماضي ورعش الحاضر
حلقات دائرات وتلافيف لطاف حول غـابة زامر
رجل يصنع للسمار اسلو ب الحياة العذب قصة شاعر
دوامة الافق الجميل تهز اسرار الوجود على رفات عاصر
وفتوة الريف السعيد تلف احلام الصبابة ساعة في سامر

القاهرة — كامل علي سعفان



مكتبة الاديب

النظرية الذرية - الطاقة الذرية - القنبلة الذرية

للاستاذ نقولا جرجس شاهين - ١٧٦ صفحة - حجم كبير
مطابع صادر وريحاني - بيروت

الاستاذ شاهين من اساتذة الجامعة الاميركية ببيروت . وهو يعلم الفزياء فيها . رجل نشيط واسع الثقافة امضى حياته في الدرس والتنقيب وانقطع لهما . وقد لمست في الاستاذ وطنية صادقة ، فرائده انهاض الفكر العربي من كبوته وهذا شأن كل عالم مؤمن بوطنه فاخرج كتابه هذا عن الذرة وتطورها في مراحلها العديدة كما استعرض تاريخ هذا الفرع منذ ان فكر الانسان بتركيب المادة الى ان توصل الى تفجيرها واستخراج طاقتها الكامنة فيها ، وهذا الكتاب احد الكتب القليلة التي كتبت في هذا الموضوع في اللغة العربية ، في حين ان الكتب التي ظهرت في مثل هذا الموضوع في في اللغات الاروبية تعد بالالاف . اما عندنا فان السواد الاعظم من القراء اذا قرأ عن مثل هذا الموضوع اكثر من مرة اصابه الملل وعراه الدوار فلا غرو في ذلك لاننا لا نقدر العلم او قل انهم قلائل الذين تتوق نفوسهم الى البحث العلمي الصحيح فكأننا نعيش على هامش الحياة ، وان الرجل الغربي مكلف بالاختراع والاكتشاف ليزودنا نحن الشرقيين بها ويؤمن لنا المصالح ووسائل العيش الهنيء دون ان نعلم ان مثل هذه الاكتشافات والاختراعات هي الوسيلة الوحيدة لتقدم الامم ؛ وانه اذا تفحصنا الامر وجدنا اننا نعيش على حساب غيرنا ونتلذذ بالحياة على حساب الاجنبي . لقد حان الوقت ان نعلم انه لا احترام لامة لا تساهم في الحقل العلمي لان العلم اليوم هو وسيلة الاحترام والقوة التي هي من سيماء الامم الغربية . والامم الراقية اليوم تتزاحم في حقول الاكتشاف والاختراع وتشجيع العلم والعلماء ، وتفتخر بهم لانها تعرف وتقدر قيمة هذا العامل القوي الفعال في تقدم الحضارة وانعاش الشعوب .

اخرج الاستاذ شاهين كتابه هذا مستعرضاً هذا الفرع منذ نشأته اي منذ ان فكر ديمقريطس بان المادة مركبة من ذرات الى تفجير هذه الكتلة واستخراج مكامنها .

فقسم الكتاب الى ثلاثة اقسام ، قسم استعرض فيه النظرية الذرية اي عندما كان هذا العلم ينظر اليه بمنظار الشك وكان فكرة تخامر بعض رجال العلم حتى مطلع هذا القرن ، ولا ازال اذكر محاورة قرأتها وهي بين العالم ماخ والعالم هرتز عندما القى هذا الاخير محاضره عن الذرات في اواخر القرن الماضي وعندما انتهى الاستاذ هرتز محاضرته قام الاستاذ ماخ وقال :

ماخ — هل تعتقد حقيقة بما تقول هرتز — نعم .

ماخ — يشق علي ان اعتقد بانك تعتقد بذلك ، وانتهى الحديث .

هذا مثال بسيط يرينا كيف كانت النظرة الى بحث الذرة حتى وقت قريب . وظل الامر كذلك الى ان قام كل من مدام كوري وبلانك وطمسن ورذ فورد وغيرهم عديد من العلماء بالاكتشافات العديدة في هذا الحقل حتى حققوا وجود الذرات واستقصوا محتوياتها . فاستعرض الاستاذ شاهين هذا القسم استعراضاً جلياً مفصلاً . وفي عام ١٩٣٩ توصل الاستاذ هان واستراسمان الى فلق ذرة اليورانيوم (٢٣٥) . وفي عام ١٩٤١ تقريباً رفع العالم انشتين رسالة الى الرئيس روزفلت يقول فيها : ان اكتشافاً عظيما قد ظهر في عالم العلم الا وهو امكانية فلق الذرة واستخراج الطاقة الكامنة فيها ، وانه على هذا الاساس يمكن صنع قنبلة صغيرة الحجم تفوق في مفعولها آلاف الاطنان من المتفجرات . لاقت هذه الفكرة هوى في نفس الرئيس روزفلت فامر باعطاء المال اللازم وقدره مئات الملايين من الدولارات للعمل في هذا المشروع فكانت اكبر مغامرة علمية عرفها التاريخ ، فقام العلماء في الولايات المتحدة وهم خليط بينهم الاميركي والكندي والانجليزي والفرنسي والالماني والدنماركي والايطالي وغيرهم فلبثوا يعملون متكاتفين على ايجاد قنبلة قوية المفعول يمكن بواسطتها انهاء الحرب . وفي عام ١٩٤٥ اجريت التجربة الاولى لاول قنبلة ذرية فكانت النتائج مرضية ومطابقة لما ارتآه العلم النظري والتقديرات التي حسبها العلماء . وكانت القنبلة التي انهت الحرب القائمة بين الحلفاء واليابانيين واصبح هذا الاكتشاف بداية عصر جديد في تاريخ القرن العشرين .

وهنا نرجع الى كتاب الاستاذ شاهين فنقول : انه فصل هذه الامور تفصيلاً مجملاً فكان كتابه القيم قصة ممتعة استعرض فيها

هذا الاكتشاف العجيب في مختلف اطواره حتى استكماله .

وهنا نأخذ على الاستاذ بعض الامور منهـا انه ترجم كلمة الكترون بكلمة كهرب وصوابهـا كهيرب. وكذلك كلمة flauresent بالفلورية وصوابها مضيء. وهناك ملاحظة اخرى في شكل كتابة المعادلات فمثلاً كتب معادلة ١× مربع (٣× ١٠^{١٠}) فاصبح الرقم ٣ × ١٠^{١٠} قوة لكلمة مربع فالافضل لو كتبها على هذا الشكل ١ × (٣ × ١٠ ^{١٠})^{٢}.

وكذلك عندما تكلم عن الدقيقة الميزون (ميزترون) لم يذكر مكتشفها فقد استغربت هذا الامر فالمكتشف هو العالم الياباني يوكاوا فهو اول من نوه لها وقد حققها بالتجربة كل من العـالمين اندرسن واندر ماير ووضع لها المعادلة الرياضية العالم ديراك. وهناك نقطة مهمة لا اقر الاستاذ عليها هي انه حسب الفوتونات (الضوئيات) بانها دقائق لها وزن وكتلة والحقيقة ان الفوتونات هي مقادير طاقة لا يمكن قياسها بمقياس مادي بل بمقياس الطاقة لانه حين تستحيل اية دقيقة من مركبات الذرة الى طاقة توازنيـة اصبحت فوتون اي ضوئية .

واخيراً نشكر الاستاذ على جهوده التي بذلها في اخراج مثل هذا الكتاب وانني اتمنى ان يعم بين الشباب المثقف علّه يكون حافزاً لهم على الاخذ بدراسات جامعية وافية في هذا الحقل الذي يعد ، ويحق ، قوام المدنية الحاضرة .

عمان فؤاد جمعان

تاريخ العرب

مطول – للدكاترة فيليب حتي وادورد جرجي وجبرائيل جبور – الجزء الاول – ٢٤٧ صفحة – حجم كبير – ورق صقيل – منشورات دار الكشاف – بيروت

يقول الدكتور فيليب حتي في مقدمة الكتاب : لقـد وضع كتاب تاريخ العرب في الاصل باللغة الانجليزية وطبع اول مرة في مطبعة مكملان في لندن عام ١٩٣٧ ثم توالت طبعـاته منذ ذلك العهد حتى بلغت اربعاً آخرها سنة ١٩٤٩ . ونقل في خلال هذه السنوات الى اللغات الالمـانية والافرنسية والاوردية والتركية والمخابرة جارية بشأن نقله الى غيرها من اللغات الاوربية والاسيوية.

اما هذه الترجمة التي نقدم الجزء الاول منها فقد قام بها اول الامر تلميذي وزميلي الدكتور ادورد جرجي الاستاذ المشارك في في كلية برنستون للاهوت . ولقد عرض القسم الاوفر من المخطوطة على انيس الخوري المقدسي استاذ الادب العربي في جامعة بيروت الاميركيه فتلطف وراجعه وهذب بعض عبارته فله شكرنا الجزيل.

واخيراً عهد الى تلميذي الدكتور جبرائيل جبور الاستاذ المشارك في الجامعة نفسها ان يحرر الكتاب ويساهم معنا في نشره فراجعه ونقحه بدوره ووقف على طبعه وتعهده بعنايته الخاصة .

ولهذه الترجمة العربية ميزة خاصة وهي انه سيظهر فيها لاول مرة قسم جديـد لم يظهر بعد في الطبعة الانجليزية او في اي من الطبعات الاخرى وهو القسم الذي يبحث تاريخ العرب منذ اول العهد العثماني حتى زمننا الحاضر .

كارثة فلسطين

موسوعة تعنى بنشرها جمعية انقاذ فلسطين تتألف من عدة اجزاء – صدر الجزء الاول – ٢٥٠ صفحة – حجم كبير – ورق صقيل – مطبعة الرابطة – بغداد

اهداء الكتاب : الى الذي ضحى وانكر الذات ، الى الذي نذر نفسه لله فوفى بما عاهد عليه الله ، الى شهيد حرب ١٥ نوار ١٩٤٨ في فلسطين ، الخالد في النعيم المقيم .

وجاء في مقدمة الكتـاب : قضي الامر ! واصبحت الدولة اليهودية المزعومة – غير مزعومة – فقد اقرت جمعية الامم المتحدة الوضع الدولي . . . دولة اسرائيل . . . خطر كل الخطر . ويوم ١٥ نوار ١٩٤٨ سيذكره العرب في مشارق الارض ومغاربها انه يوم كارثة فلسطين بل كارثة العرب . اما العرب فساروا على غير اهبة وان لم يؤخذوا على غرة . سلاحهم ناقص وجيوشهم مفككة ، ليس لهم خطة واضحة ولا قيادة موحدة . دخلوا حرب ١٥ نوار ١٩٤٨ شيعاً على غير بصيرة ولا هدى مما كان سبباً لتعجيل وقوع الكارثة المؤلمة . لقد اصبحنا الآن وجهاً لوجه امام خطر شديد ، وخصم عنيد مفكر طامح ، يترقب الفرص . فلنحسب اذن لهذه الدولة الجديدة التي شيدت اركانها على جماجم الشهداء الف حساب . ولنأخذ حذرنا من شعب قطع على نفسه عهداً ان يستولي على ارض الميعـاد التي اعطاها الرب لابراهيم ونسله والتي تضم مصر وفلسطين وشرقي الاردن والعراق وسورية ولبنان . اما شعوب هذه الارض فمحرم على بني اسرائيل ان يخضعوا لملك من ملوكها ، او ان يبايعوه ، بل يجب على (شعب الله المختار) ان يفنيها بحد السيف . . وان يمحو اسم ملوكها من تحت الشمس وان لا يستبقى منها نسمة حية ، ولكنه يفعل ذلك رويداً رويداً بحيث لا تكثر وحوش البرية عليه كما جاء ذلك في نص الشريعة التي يلوذ بها اليهود والتي نورد طرفاً منها فيما يأتي :

« ارض الميعاد فلسطين » : في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام

ميثاقاً قائلا : لنسلك اعطى هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات . القينيين والقنزيين والقدمونيين والحيثيين والفرزيين والرفائيين والاموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين (تكون ح ١٥ ع ١٨ – ٢١).

« حدود فلسطين » : وكان بعد موسى عبد الرب ان الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا : كل موضع تدوسه بطون اقدامكم اعطيته كما كلمت موسى . من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات . جميع ارض الحيثيين والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم » (يشوع ح ١ع ١و٣ و٤ و٦) .

« كيفية فتح فلسطين » : لا ترهب وجوههم لان الرب الهك في وسطك اله عظيم ومخوف ولكن الرب الهك يطرد هؤلاء الشعوب من امامك قليلا . لا تستطيع ان تفنيهم سريعاً لئلا تكثر عليك وحوش البرية . ويدفع الرب الهك امامك ويوقع بهم اضطراباً عظيما حتى يفنوا . ويدفع ملوكهم الى يدك فتمحو اسمهم من تحت السماء » (تثنية ح ٢ ع ٢١ – ٢٤).

« المعاهدات » : لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم . (تثنية ح ٧ ع ٢) .



بقايا نغم

مجموعة شعرية – للطفي جعفر امان – ١٢٠ صفحة – حجم متوسط
مطبعة فتاة الجزيرة – عدن

يقول الاستاذ محمد عبده غانم صاحب مقدمة الديوان : . . .
واول ما يلفت النظر في هذا الشعر نزعته الصوفية واتجاهه الروحي فالشاعر على جد قوله ليس من ماء وطين بل هو روح ليس يفنيها الزمن . وان غاية ما يصبو اليه الصوفي ان يتخلص من قيود الجسم ليستحيل روحاً خالدة باقية بقاء الابد باتحادها مع القوة الازلية التي لا تزول . والشاعر يحب لانه يجد في الحب لذة روحية يظهر بها نفسه وهو يجد في الموسيقى صوت العالم العلوي ، ويود ان يكون ناي السماء يرجع في الارض الحانها .

ولست ادري الى اى حد يؤمن الشاعر بالصوفية . ولا الى اي درجة قد تشبع بتعاليمها . وهل الصوفية عنده عقيدة ام مذهب ام فكرة . ولكن لا سبيل الى انكار نزعته الصوفية او الروحية التي تسود كثيراً من قصائده . ولعل الشاعر في هذا قد تأثر بالشاعر السوداني التيجاني الذي يؤبنه في الديوان . وهذا بعض ما يدين به الشاعر للسودان.
والى جانب هذا الغناء الروحي نجد غناء قاتماً يصور الحيرة التي يجدها الشاعر في نفسه من حين الى آخر . واغلب الظن ان هذه الحيرة تعود الى نزعته الروحية . فالصوفيون يتخذون من الشك وسيلة الى اليقين ويرون الا سبيل الى المعرفة الا بالانكار .

وقد يكون السبب في هذه الحيرة ما يتداول الشاعر في هذه المرحلة التي يجتازها من عوامل ثقافية مختلفة فيها كثير مما يدعو الى الشك والى اليقين ، وفيها ما يساعد على نمو النظرة الفلسفية الى الحياة وما يتبع هذه النظرة من حيرة .

سلمى التغلبية

او قصه الفتح الاسلامي لتكريت – تأليف شعبان رجب الشهاب – ٢٤١ صفحة – حجم متوسط
مطبعة المعارف – بغداد

الاهداء : الى من محتهم تقاليد المجتمع عن حاضرة الحياة فغمطتهم حقوقهم وجردتهم من مؤهلاتهم ومزاياهم . فعاشوا على هامش الحياة يسكبون عليها دموعهم وعصارة افكارهم . بصدور رحبة ونفوس بريئة ، لا يمازجها الحقد او يخالطها الانتقام اقدم هذا الكتاب .



جولة الأديب في شهر

ليالي الصعاليك في القاهرة

●

الوحي . . .

الساعة تعلن انتصاف الليل .. القاهرة تهدأ قليلا ويتلاشى الضجيج الى حد ما . ناس يذهبون الى منازلهم وناس يغادرون منازلهم . لقد بدأ الليل يفشي اسراره . .

ان السر الاول الذي يطالعنا في هذه الساعة يكمن داخل سيارة صغيرة تندفع نحو شارع قنطرة الدكة امام منزل صغير يبدو وكأنه مهجور .. ولكن هذا المنزل تضاء فيه الانوار حتى الصباح انه المكان الذي يلتقي فيه الموسيقيون المحترفون اعضاء نقابة العوالم .. ويغادر السيارة ثلاثة آلهة او ثلاثة صعاليك واحد منهم موسيقار يحمل تحت ابطه « كمانا » والثاني صحفي يحمل في يده كل الصحف التي صدرت في ذلك الصباح .. والشخص الثالث فنانة لا لون لها .. انها ترقص احيانا وتغني احيانا .. وتمثل في بعض الاحيان . والمهم انها احدى اللواتي يعشقن الليل ويصعد الثلاثة الدرج المؤدي الى نقابة العوالم .. وتبدأ السهرة .. الموسيقار يضع لحنا لاحدى فرق عوالم محمد علي . والصحفي يقرأ الصحف التي صدرت في الصباح والمساء لانه لا يستطيع ان يقرأها نهارا حيث ينام بعض الوقت ويعمل باقي الوقت والفنانة التي لا لون لها تسخر من الموسيقار والصحفي وتشتبك في قافية مع احد الموسيقيين المحترفين . .

ان نقابة العوالم تموج بالفن وبالوحي . الجميع وهم فنانون من كل لون لا يعترفون بالزمن . ان ساعات الليل تنقضي في سرعة مخيفة ويتسلل نور الفجر من النافذة ويتسلل اهل الفن من النقابة الى منازلهم .

لقد انتهت السهرة ولا تسأل عما حدث خلال تلك السهرة لان اهل الفن لهم دنياهم الخاصة ومملكتهم المستقلة .

وان كل واحد من اهل الفن يؤمن بانه اله او ظن انه من الصعب افشاء اسرار الآلهة .!

مواكب الخلود

الساعة الثانية صباحا .. زورق شراعي يقف وسط مياه النيل خلف الجزيرة . وفي المركب الشراعي جلس خمسة آلهة ، مخرج وصحفي ومطرب وممثل ، وكروانة . ان كروانة الجزيرة ليست ام كلثوم على اي حال ، ولكن صوتها سيغنيك عن صوت مطربة الشرق لانها تغني في الساعة الثانية صباحا وفي مركب شراعي يتهادى خلف الجزيرة ومهما كان صوتها قبيحا فسيعجبك الصوت لانك تعيش مع صاحبته في دنيا الصعاليك .. ان دنيا الصعاليك فيها من الاغراء ما يطيح بالعقول وفيها من الاحلام ما يثير الامل وفيها كل شيء غير موجود في دنيا الناس .

لنسمع ما يقول الصعاليك الخمسة بعد ان انتهت وصلة الطرب ان المخرج يلعن الكروانة وهي تضحك ويقول لها الصحفي في تهكم :

بتاخدي كام في الليلة اللي ما بتغنيش فيها ! .

وتضحك الكروانة ويضحك الصعاليك الخمسة . ولنستمع الى الآلهة وهم يتحدثون في كل شيء . والزورق ينساب بهم حول الجزيرة .

بدأ المخرج يتحدث عن مشكلة الوجوه الجديدة وبدأ زملاؤه الصعاليك يبحثون معه المشكلة وقال المخرج :

— عاوز وجه جديد يا ناس للفيلم بتاعي .

ويرد عليه المطرب الكبير :

— ولزوم التعب ايه .. عندك صالحة قاصين .

وعندما يتحدث الصعاليك عن مشاكل مصر السياسية فثق ان الصراحة هي التي تسيطر على الموقف . ان رأى الصعاليك في رجال السياسة يمكن ان يقيم النيابة ويقعدها ومن حسن حظ الصعاليك ان رجال النيابة لا يسهرون في المراكب الشراعية حول الجزيرة !

وفجأة يرتفع صوت المطرب الكبير وهو يغني لحنه الجديد .

وتسطع في السماء نجوم صفحة النيل وتتراقص الاضواء مع اللحن الجديد وتسرح الكروانة وهي تنصت في قسوة الى صوت المطرب الكبير وينسى الصعاليك جديدة ترسل اضواءها على السياسة ورجال

ويقول الاستاذ كامل الشناوي الصحفي والشاعر والفنان : « من القسوة ان ينام الانسان قبل طلوع الفجر » ويؤكد كامل الشناوي ان سحر الليل هو الحياة نفسها في الليل كل شيء جميل فاتن ويكفي ان يرقب الانسان النجوم وهي تسطع في السماء ليؤمن بأن النوم حرام قبل مطلع الفجر . . !

وقصة صعاليك الليل اعني الآلهة الذين لا ينامون قبل مطلع الفجر هي قصة غير صالحة للنشر ولكن ، ربما كان في نشرها برهان على ان الليل ساحر كبير وحاو شحنت رأسه بالاسرار . . ! ع . د

السياسة وجميع المتاعب الاخرى ويعيشون في دنياهم الخالدة التي يرعاها الليل وتباركها النجوم ويطويها الفن .

لا شيء في الوجود يمكن ان يؤثر في نفس الفنان الا الفن نفسه ولا توجد قوة في الوجود تحرك مشاعر الفنان الا لمحات الفن نفسها . ان ابتسامة الفنان لا يمكن ان تشرق ابداً الا عندما تلمح مشهداً فيه فن باحثة عن هدفها المنشود ودائماً يكون الهدف شيئاً له علاقة بالفن .

والفن يعبر عن الالم والعذاب والسعادة والامل وروح الفنان هي مزيج من هذا كله . ألم . وعذاب . . سعادة وامل وهي روح طليقة تنفر دائماً من التقاليد .

والقيود . . انها روح شفافة ترف حول الجمال كما تحوم حول القبح . هي قذيفة تنطلق وقد تصيب الهدف وقد تخطئه ولكنها تنطلق بقوة هائلة ولا يقف امامها عائق . !

وعقل الفنان لا يمكن ان يعمل ابداً الا ليخلق فناً . وروح الفنان تسبح دائماً في دنيا مجهولة .

في الساعة الثالثة صباحاً تجد مواكب اهل الفن في كل مكان وقد يروعك ان تجدهم في تلال زينهم وقد يهولك ان تبصر بهم في هذه الساعة وهم يتسكعون تحت سفح الهرم وربما التقيت بهم وهم يمرحون فوق قمة جبل طولون ، انهم مثل الهواء في كل مكان ولكن في الليل وبعد ان تهدأ القاهرة ويتلاشى ضجيجها وتختفي معالم الحياة فيها . . . !

صناعة الخلود . !

الساعة الواحدة بعد منتصف الليل . في حجرة ضيقة فوق سطح احدى العمارات . . ولا شيء في هذه الحجرة يقنعك بان صاحبها انسان يريد ان يعيش .

الفراش متواضع وتبعثرت بجوار الفراش بضع مقاعد متداعية حتى حائط الحجرة قد تشقق والنافذة الوحيدة في تلك الحجرة مغلقة دائماً لانها لا تفتح ولا تغلق بعد ان غطاها صاحبها بالواح من الخشب في الشتاء الماضي وصاحب الحجرة صعلوك كبير . انه اديب وكاتب وصاحب قلم مخيف يقرأ له الناس فيتخيلونه يعيش في قصر شامخ في جنة عدن ولكن صاحب القلم المخيف هذا يعيش كما وصفته لكم في مسكنه المتداعي الذي صنع منه قصراً شامخاً بقلمه وبفنه .

وجلس في الحجرة مجموعة كبيرة من الفنانين معظمهم من اصحاب السيارات والفيلات والارصدة المكدسة في البنوك فماذا جاء بهم الى تلك الحجرة القذرة العفنة المتداعية ؟ !

ان الاديب سالف الذكر :

اعني الصعلوك الكبير يجلس بينهم وكأنه ملك متوج وهم من حوله رعايا مخلصين وكانت السهرة حافلة وقد اقيمت بدون مناسبة طبعاً مثل جميع حفلات الصعاليك . . وبدأت الحفلة برقصة وثنية قامت بها راقصة كانت تستطيع ان ترقص في تلك الليلة في قصر مليونير ولكنها ارادت ان تعيش في دنياها ليلة فجاءت مع اصدقاء الصعلوك لترقص لهم بدون مقابل فرقصت كما ترقص من قبل . وانطلقت الايدي تصفق على الوحدة وكان هناك مخرج كبير ينقر على علبة صفيح فارغة وموسيقار كبير يعزف على العود ورئيس تحرير احدى الصحف يرد مع الكورس . . وانتهت الرقصة .



من اليمين : محمد عبد الوهاب يعزف العود . خلفه احمد رامي وزكي مبارك . ماري كويني تستمع . محمد علي غريب والرسام رخا يلعبان الورق . خلفهما محمد التابعي وام كلثوم تغني . حسن فؤاد يصفق . علي الدالي يقدم الجوزة للرسام فوزي وامامه عبد الحليم يومي يطبل وخلفه شكوكو . كامل الشناوي يقرأ كلمة للجالسين .

وافشى الليل في تلك السهرة اسراراً كثيرة هي بمثابة قانون لمملكة الصعاليك . ! !

وتلك الاسرار خرجت من النافذة الخشبية على الناس الحاناً ترددها الجماهير ومقالات من نار في الصحف وأفلاماً سينمائية ناجحة وكل الوان الفنون التي تستحوذ على مشاعر الجماهير صنعها الصعاليك اثناء وجودهم في حجرة زميلهم القذرة العفنة التي يتخيلها قراؤه قصراً في جنة عدن . !

ان الليل لا يلفظ اسراره الا لانسان يثق فيه وفي قدرته وليس هناك انسان يثق فيه الليل الا الفنان فهو وحده الذي يستطيع ان يصنع من تلك الاسرار خلوداً ومجداً وهو وحده الذي يظل طوال الليل ساهراً ينصت في انتباه الى همس الليل ذلك الحاوي الذي شحنت رأسه بالاسرار

«جريدة النداء المصرية»

علي الدالي

الافـلام المصريـة

في المهاجر الاميركية

●

اجتاحت الافلام المصرية في الحقبة الاخيرة بيئتنا السورية واللبنانية التي هرعت الى مشاهدة«السينما العربية» وكلها شوق وحنين، دون ان تكترث لما يتقاضاه اصحابها من الاجر.

ولكن عناصرنا السورية واللبنانية اصطدمت بخيبة مرة بعد مشاهدة معظم الافلام التي جاء بها اصحابها من مصر ذلك لانها لم تحقق شيئاً من تلك الصور الجميلة الفتانة التي رسمها ابناء الجالية بعدما مرت عليهم اكثر من عشر سنوات دون ان يشنفوا آذانهم بالاغاني العربية والاحاديث العربية او يكحلوا عيونهم ببهاء الوطن ومناظره الجميلة .

وهذه الخيبه المرة التي اصطدموا بها نشأت عن عوامل شتى منها ان معظم تجار الافـلام آثروا الرخيص القديم الغث الذي اخرجه المديرون السينمائيون عندما كانت السينما المصرية جنيناً يتحرك في بطن امه. مما لا قيمة فنية له على الاطلاق . فكانت الجالية مغبونة بهذه الافلام القديمة التي استرخصها التجار فحملوها الينا تجارة كاسبة لهم وخاسرة لنا . فاصابنا ما اصاب ذلك « الفلاح » الذي البسه التاجر ما يريده هو. لا ما يريد ان يختاره المشتري . وفي هذا العمل استخفاف بثقافة الجالية ورقيها الفني والاجتماعي لا نغتفره .

وربما كان لتجار الافلام المصرية بعض العذر. فالسينما المصرية كما يتراءى لنا لا تزال في المهد مع كل تقدمها. لا نقول هـذا من حيث الاخراج والادارة والتمثيل والمناظر وتوابعها فقـط بل من حيث المواضيع الروائية ايضاً .

فاذا كانت مصر لم تتقن حتى الآن فن اخراج السينما على الوجه الاكمل لاسباب فنية تحتاج الى ممارسة طويلة وسليقة صناعية فما هو عذرها في سخافة تلك المواضيع التي تبني عليها رواياتها وتعرضها على الجماهير .

فمعظم هذه الروايات غربي الاوضاع لا يمت الى مصر والبلدان العربية بصلة. بل لا نغالي اذا قلنا ان اكثر هذه الروايات ممسوخ عن « الحياة الاجنبية » في الغرب . وقد اتخمنا بمثل هذه الروايات .

فالسينما كالصحافة ترمي الى تثقيف الجماهير وصقل اذواقهم ودرس امراضهم ومعالجة عللهم الاجتماعية والوطنية وانماء روح البطولة في صدورهم وتحريرهم من العبوديات المتعددة الالوان وتقوية رجولتهم وتعزيز اخلاقهم وفضائلهم وهذا ما لا نجده الا نادراً في الروايات المصرية التي لا تزال حتى اليوم بمعزل عن الحياة المصرية والحياة العربيـة ، وهكذا اصبحت السينما في مصر اداة للتسلية واللهو والتخدير . وما هذه اهداف السينما للشعوب التي تريد ان تستيقظ وتعيش كريمة .

اين هي حياة الارياف ؟ اين هي الاقطاعيات التي ترسف فيها الشعوب العربية . . اين هو الظلم الاجتماعي . اين هي النهضات السياسية والقومية ؟ اين هو الشعب يحطم قيود الرجعية والعناصر الهدامة ؟ هذا كله لا نرى له اثراً لسوء الحظ في الافلام المصرية التي تجتنب على ما يلوح لنا كل الاجتناب ان توقظ ذلك النائم او تعالج هذا العليل بل تأتيه بالمخدرات وبسائر ما يلهو به عن آلامه واحلامه .

ثم ان تلك الاغاني تحتاج الى التهذيب والتشذيب. لقد سئمنا الاغاني الغرامية ومعانيها المبتذلة .

نحن لا نحتاج الى السينما لتضرم فينا جذوة الحب والغرام. نحن شعب يريد ان يحيا وينفض عنه غبار الجمود ليسير في مواكب الامم الحية. اما ان نظل ننوح ونبكي على الحب ونئن من جراح الغرام ونموت تدلهاً ونتخنث باخلاقنا فهذا لا حاجة لنا به على الاطلاق. بل يقعد بنا عن طلب المجد والتسامي ونحن في فجر تكويننا القومي.

فحبذا لو ان شركات الافلام المصرية انتبهت الى هذه القضايا الخطيرة وادركت التبعة الادبية الملقاة على عواتقها . حبذا لو انها اخرجت الافلام من صميم الحياة في بلدان الشرق العربي. بدلا من ان تمسخ الحياة الاجنبية ، اذن لادت رسالتها الثقـافية والوطنية واستحقت الشكر .

« مجلة السلوى الاميركية » البرازيل : **نظير زيتون**

يا رجال الفن والموسيقى

دعونا من ذل الهوى وشكوى الغرام

●

عندما توفي نلسن القائد البحري الانجليزي قام شاعر الانجليز الفنان دافيد جارك ينظم اغنية وفاة نلسن التي لحنها والقاها على الشعب المغني الشهير برهام وقد كانت هذه الاغنية اكبر

حافز لتتبع خطى نلسن والسير في طريقه نحو الفتح والنصر حتى ملكت انجلترا البحار السبعة !

وقام الشاعر الانجليزي شارلس ريدن ينظم عدداً كبيراً من الاغاني البحرية التي دفعت آلاف البحارين الانجليز الى البطولة البحرية في عصره .

وفي ابان الثورة الفرنسية قام روجيه دى ليل ينظم اغنية المارسيليز وهي الاغنية الوحيدة التي نظمها ولحنها في حياته وطردته الحكومة من اجلها وقد تغنى بها الشعب في طريقه الى باريس ظافراً منصوراً ، ومما قاله احد القواد عنها : ان هذا النشيد كان يعادل وحده اضافة آلاف الجنود الى الجيش .

اما الاغاني والاناشيد الوطنية في مصر فلم يكن لها مقام الا عند قيام الحركة الوطنية والفضل للمرحوم الشيخ سيد درويش الذي قام بتلحين بعضها تلحيناً قوياً كنشيد الجنود الذي وضعه الاستاذ الكبير عباس علام في رواية عبد الرحمن الناصر .

ونشيد انا المصري الذي وضعه الاستاذ بيرم التونسي لرواية شهر زاد وغير ذلك من المنلوجات والاناشيد الوطنية المعروفة .

واليوم هل اعد رجال الفن والموسيقى من الاناشيد الوطنية ما يضاف الى الذخيرة التي نعدها لرفعة الوطن ومجده . . . كلا .

الامم كلها تعمل جاهدة للذود عن كيانها . ومطلوب من المصريين ان يستعدوا للدفاع عن بلادهم وان يضحوا بكل ما يملكون في سبيل وطنهم .

فهل رأينا موسيقياً مصرياً اوحت اليه هذه الحالة ، او حركته النخوة فقام بعمل انشودة ولحن حماسي يثير في كل مصري ان يستعذب التضحية في سبيل وطنه . . . كلا ! فالاغاني ما زالت تردد شكوى الحب وألم الهجر والجفا .

والصالات والملاهي ما زالت محتفظة ببرامجها الهزلية . كأن حالة الحرب التي مرت بنا لم تكن كافية ليحل الجد مكان الهزل .

فمتى يكون ذلك اذن ؟

نريد اناشيد وطنية تشعل الحماسة وتغرس القوة وحب الوطن في قلوب المصريين .

نريد اغاني تشجيع الذود عن حياض الوطن والتضحية في سبيله يا رجال الفن والموسيقى .

دعونا من ذل الهوى وشكوى الغرام واتجهوا بفنكم نحو القوة والمجد .

« جريدة الاساس المصرية »

الفلكي

« بقية المنشور في صفحة ٨ »

كيف ادخلها الزمن في حسابه . ولكنها تعرف كيف انها جاهدت نفسها جهاداً مراً ، او كيف جاهدتها نفسها المنكسرة جهاداً أمر ، حتى فتحت عينيها ونظرت اليه وجلة وقالت مرتاعة متقطعة الانفاس لكن يمهل قاتله لحظات ليقول له شيئاً وتمتمت .

— ماذا القيت اليهم . ؟ !

فقال وهو يقترب منها يهدىء من روعها .

— الشيء الذي كانوا ينتظرونه !

— ولكنك .

فلم يجعلها تتم لانه قال .

— ولكني اعرف .

فجحظت عيناها وقالت وهي تذهب وتريح بيديها الدموع التي تجمعت على شفتيها .

— اتعرف انني . . انني امرأة ؟ . — اعرف !

— وشرفك ؟

— انه مصون . . وانك له خير حافظة .

فقالت وهي تهزه من كتفيه هزاً عنيفاً لعله يستيقظ .

— والاناء الذي تلوث .

— لقد طهرته — سبع حجج — وتمتمت شفتاه « الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم » .

فارتمت عند قدميه وقالت وهي تمسح على حذائه بلسانها وشفتيها .

— والكلب الذي ولغ فيه ؟ .

فقال في صوت خفيض وهو ينهضها ويربت على كتفيها في حنان جم وعطف كبير .

— ليغفر له الله ، ولي ايضاً ان كنت من المعتدين .

قال ذلك ثم تركها وانصرف على ان يعودولكن مع الصبح .

***

شيء واحد هو الذي رد اليها حياتها ، واتم عليها نعمتها ، وجعلها لا ترضى بغير دنياها بديلاً ، تلك هي — هدية العمر — التي قدمها اليها الزوج في الصباح ، عندما فتح عليها غرفتها وقال ، وهو يقدم لها طفلاً ذليلاً في السابعة من عمره ، عاري الرأس حافي القدمين ، ممزق الثياب .

— الست معي في ان الواجب يحتم علينا ، ان نتكفل بهذا « الصبي » الذي وارينا « والده » التراب منذ يومين .

القاهرة امين يوسف غراب

أنباء العالم في شهر

٢٣ نوفمبر « تشرين الثاني » – قررت نقابة الصحفيين في مصر مبدئياً اعلان الاضراب احتجاجاً على استمرار العمل بالاحكام العرفية .

٢٤ – طلبت الحكومة التركية رفع الحصانة البرلمانية عن النائب رشاد ايدنلي لمحاكمته بتهمة الطعن بالنواب الذين اتهمتهم بالتآمر لقلب الحكم .

٢٥ – تكلم فيشنسكي وزير خارجية السوفيت في هيئة الامم فدافع عن وجهة نظر حكومته في المقترحات السلمية وقال ان السباق على حيازة البترول في العالم هو احد اسباب الحروب . وقد رد عليه المستر ماكينل قائلاً ان الوفد الانجليزي ووفود دول عديدة ليست مقتنعة بحسن نية الاتحاد السوفياتي .

٢٦ – ينص الدستور الجديد لجمهورية الهند المستقلة على ان الهند تبقى داخل حظيرة الكومنولث ، ويطلق عليها اسمان الهندوبهارات ويكون لها لغتان وطنيتان الانكليزية والهندوسية . والدستور يلغي جميع الفروقات في الدين والجنس والمذهب .

٢٨ – صرح المستر جونسون وزير الدفاع الاميركي بان القوات الاميركية ستبقى في المانيا واكد انه ليست هناك اية نية لانشاء قوات المانية مسلحة .

٢٩ – انهى الدبلوماسيون الاميركيون ومساعدوهم في الشرق الاوسط مؤتمرهم الذي عقد في اسطنبول ودام خمسة ايام .

٣٠ – سقطت مدينة تشونكنغ العاصمة الثالثة للوطنيين الصينيين في ايدي القوات الشيوعية دون قتال .

– اعلن ناظر الدفاع الاميركي ان على اميركا ان تستعد للمحافظة على السلام منذ الساعة الرابعة من صباح غد وان كان احتمال وقوع الحرب قد تضاءل .

اول ديسمبر « كانون الاول » – اعلنت اوساط وزارة الخارجية البريطانية بانه لا علم لديها بوجود مشروع سلم سوفياتي ينص على تحديد مناطق النفوذ السوفياتي والانجلوسكسوني في اوروبا واعلان حياد المانيا .

٣ – كلفت مصر سفيرها في لندن ان يستوضح وزارة الخارجية البريطانية عن التصريح الذي ادلى به وزير الحربية عند مروره بالمقر البريطاني بقنال السويس والذي قال فيه ان بريطانيا لا تعتزم الجلاء قريباً .

٥ – عاد المارشال كاي شك الى ادارة الحكومة الوطنية الصينية .

٦ – بمناسبة اجتماع مجلس اوروبا قرر وزير خارجية تركيا واليونان انشاء لجنة مختلطة مؤلفة من رجال البرلمان والوزراء القدماء لدراسة قضية التقريب بين الشعبين .

٧ – اعلن ان الولايات المتحدة تقدمت الى الحكومة المصرية بمشروع لعقد معاهدة صداقة وتجارة وملاحة على غرار المشروع الذي تقدمت به الى حكومتي لبنان وسوريا .

– صرح فيشنسكي قبل مغادرته نيويورك الى موسكو بان قضية السلم قد منيت بفشل خطير في دورة الجمعية العمومية للامم المتحدة والنتائج غير مرضية .

٨ – وافقت الجمعية العمومية للامم المتحدة على قرار يدعو جميع الدول الى احترام استقلال الصين السياسي ووحدتها الاقليمية وقررت احالة الشكوى الصينية على الاتحاد السوفياتي الى اللجنة المؤقتة .

٩ – اعتقل البوليس الالماني في منطقة الاحتلال السوفياتية سبعة عشر عضواً من اعضاء البعثة العسكرية اليوغسلافية وعائلات موظفي القنصلية .

١٠ – وافقت الجمعية العمومية للامم المتحدة على تدويل القدس تدويلاً تاماً وكان الفضل في ذلك لائتلاف الكتل السوفياتية والعربية واللاتينية الاميركية .

– الف السيد علي جودة الايوبي الوزارة العراقية .

١٣ – اشعرت الولايات المتحدة حكومتي شرق الاردن واسرائيل ان عليهما ان تتجنبا القيام باي عمل خطير من شأنه عرقلة مشروع تدويل القدس .

– اعلنت اسرائيل مدينة القدس عاصمتها الوطنية واعلن بن غوريون امام البرلمان ان الحكومة ستنقل دوائرها الى القدس .

١٤ – انتخبت الجمعية التأسيسية السورية هاشم الاتاسي رئيساً للدولة لمدة ثلاثة اشهر المدة المحدودة لوضع الدستور الجديد .

– حكمت محكمة الشعب في بلغاريا على المتهمين بالتجسس لحساب الدول الاجنبية بالاعدام على كوستوف نائب رئيس الوزارة السابق وبالسجن المؤبد على رفاقه الخمسة وهم وزيران وثلاثة مدراء .

١٥ – اعلنت صحيفة الديلي ميرور ان بريطانيا تملك الاسلحة الذرية منذ سنتين وقد تجري تجربتها في احدى المناطق السرية باستراليا .

– وقعت اميركا والمانيا الغربية ميثاقاً ينتهي اجله في يونيو ١٩٥٣ حول مشروع مارشال تتعهد فيه المانيا بان تتعاون مع دول اوروبا الغربية مقابل مساعدة الولايات المتحدة لها .

١٦ – سافر الهر ويلهم بيك رئيس دولة المانيا الشرقية الى موسكو يصحبه اربعة من وزرائه لكي يشتركوا في مهرجان الذكرى السبعين لميلاد ستالين .

١٧ – صرح المارشال باباغوس رئيس اركان حرب الجيش اليوناني بان الخطر عن اليونان لم يذهب فهناك ١٢ الف ثائر يوناني لجأوا الى البلدان المجاورة .

١٩ – قام العقيد اديب الشيشكلي بانقلاب عسكري جزئي بسوريا اسفر عن تنحية قائد الجيش اللواء سامي الحناوي الذي قام بالانقلاب السابق ، والتهمة الموجهة الى الحناوي العمل ضد الكيان السوري الحالي .

٢٠ – صدر بيان رسمي في وشنطن ولندن واتاوا يعلن بلوغ اتفاق ثلاثي بين الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا حول تنسيق نماذج الاسلحة واساليب التدريب الفني العسكري فيما بينها .

٢١ – اصدرت المحكمة العسكرية البريطانية في هامبورغ حكمها بسجن المارشال فون مانشتاين ١٨ عاماً وهو الذي كان قائداً عاماً للقوات الالمانية في الجبهة السوفياتية الجنوبية في الحرب الماضية .

٢٢ – احتج وزير خارجية بلغاريا لدى الامين العام لهيئة الامم على خرق القوات اليونانية للحدود البلغارية .

مطابع صادر وريحاني – تلفون ٦٢ – ٦٨